



جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ



الدور التاريخي و الحضاري للمرأة بالمغرب الأوسط
" في عهد الدولتين الرستمية والزيانية – أنموذجا – "

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصّص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إشراف الأستاذ:

دّة/ بن صغير يمينة

إعداد الطالبتين:

بريكي نوال

دلّة زينب

الاسم واللقب	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/ بحاز ابراهيم	جامعة غرداية	رئيسا
دّة/ بن صغير يمينة	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
د/ ملاخ عبد الجليل	جامعة غرداية	عضوا مناقشا

الموسم الجامعي: 1440-1441هـ - 2019-2020م



جامعة غرداية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ



الدور التاريخي و الحضاري للمرأة بالمغرب الأوسط
" في عهد الدولتين الرستمية والزيانية – أنموذجا – "

مذكرة مقدّمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصّص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إشراف الأستاذ:

د. بن صغير يمينة

إعداد الطالبتين:

بريكي نوال

دلّة زينب

الاسم واللقب	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/ بحاز ابراهيم	جامعة غرداية	رئيسا
دّة/ بن صغير يمينة	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
د/ ملاخ عبد الجليل	جامعة غرداية	عضوا مناقشا

الموسم الجامعي: 1440-1441هـ - 2019-2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ

عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

التوبة: ١٠٥

الإهداء

إلى حبيبة قلبي رحمها الله وأسكنها فسيح جناته أمي العزيزة

بلجاني مسعودة

إلى من لا تحلو الحياة بدونهم إخوتي و أخواتي

إلى كل أساتذة وطلبة تخصص تاريخ الوسيط جامعة غرداية.

خاص بالطالبة بريكي نوال

إهداء

الحمد والشكر لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لو لا فضل الله علينا

أهدي هذا العمل إلى:

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفيهما حقهما جنتي بهذه الدنيا والداي الغالين حفظهما الله لي
ورزقهم الفردوس الأعلى وحشرهم مع الأنبياء والصديقين.

إلى سندي وقوتي وقت ضعفي، إلى أكبر نعمة وهدية من الله إخوتي.

إلى كل من دعمني وشجعني ولو بالكلمة الطيبة.

إلى من عملت معي بكد بغية إتمام هذا العمل، زميلتي في البحث بريكي نوال.

إلى من ساندتنا ووجهتنا وصبرت معنا في هذا العمل فضلك علينا كبير، شمعتنا أستاذتنا الكريمة

بن صغير يمينة.

إلى كل أصدقائي وأحبابي دون استثناء.

إليكم أهدي ثمرة جهدي.

وفي الأخير أرجوا من الله تعالى أن يجعل عملنا هذا عملاً ينتفع به.

خاص بالطالبة دلمة زينب

الشكر والعرفان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا
الواجب ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل.

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذة المشرفة بن صغير يمينة
التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها القيمة التي كانت عوناً لنا
في اتمام هذا البحث.

وكل من ساعدنا من قريب أو بعيد على انجازه .

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
/	للفصل بين الميلادي والهجري
ت	توفي
تح	تحقيق
ج	جزء
د.ت.ط	دون تاريخ الطبع
د.د.ن	دون دار النشر
د.م.ط	دون مكان الطبع
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
هـ	هجري
تع	تعليق
ج	جزء
تر	ترجمة
نص	تصحيح

المقدمة

إن نظرة الإسلام للمرأة تتبع من نظرتة للإنسان بصفة عامة، إذ وضع لها حقوقها وواجباتها، وجعل التفاوت في مسائل توزيع المهام بينها وبين الرجل أمر تحتمة طبيعة تكوين كل منهما ودوره داخل المجتمع، واستفادت المرأة لأول مرة من العدل والحرية والمساواة، فبظهور الإسلام عنى بالمرأة عناية بالغة لأنها كائن بشري له مقوماته الشخصية ومكانته الذهنية وانفعالاته النفسية، فهذه العناية برزت في التاريخ الإسلامي شخصيات نسائية فذة في قدراتها دفعت بعجلة حياة الأمة إلى الأمام كان منها الإنتاج الفكري والعطاء المعرفي والإسهام التربوي والاجتماعي.

فبلغت المرأة في المغرب الأوسط مكانة مرموقة في المجتمع مكنتها من القيام بدور فعال ومهم إلى جانب الرجل في مختلف مجالات الحياة من خلال إسهامها الإيجابي في التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تجسدت على أرض الواقع منذ تأسيس الإمارات المستقلة بالمغرب الإسلامي، وبفضل قيادة الحكام والأئمة وجهودهم على مختلف الأصعدة بما في ذلك الاهتمام بالمرأة وتحسين أوضاعها ورعاية شؤونها، ولهذا ارتأينا أن نقدم دراسة نبحت في الجوانب التي برزت فيهم المرأة الرستمية والزيانية فكان عنوان بحثنا موسوماً بـ:

الدور التاريخي والحضاري للمرأة بالمغرب الأوسط في عهد الدولتين

الرستمية والزيانية - انمودجا -

■ حدود الدراسة:

يتمحور الاطار المكاني لهذا البحث في المغرب الأوسط (الجزائر حالياً)، أما الإطار الزمني فقد حددناه من الفترة الزمنية الممتدة ما بين (160هـ - 296هـ/777-909م) وهي فترة قيام الدولة الرستمية إلى غاية سقوطها على يد الشيعة الفاطميين، والفترة الممتدة ما بين (633هـ - 962/1235-1554م)، وهي فترة قيام الدولة الزيانية إلى غاية سقوطها على يد السعديين.

■ أسباب اختيار الموضوع:

يعود اختيارنا للموضوع لأسباب موضوعية وذاتية تتمثل في:

أولاً- الأسباب الموضوعية:

- ملاحظتنا من خلال دراستنا لتاريخ المغرب الإسلامي إلى نقص في البحث التاريخي للمرأة في المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة،
- اختيار هذا الموضوع من أجل إثراء المكتبة بهذا النوع من الدراسات المتخصصة.

ثانياً- الأسباب الذاتية:

- رغبتنا في تسليط الضوء على المرأة بالمغرب الأوسط، أم ومربية ومعلمة وإبراز دورها في شتى المجالات لأن المفهوم العام عن المرأة يكمن في دورها المنحصر في أعمال المنزل والاهتمام بالأسرة.
- أردنا من خلال هذه الدراسة المتواضعة أن نزيح تلك الصورة بإظهار مكانتها ودورها السياسي والاقتصادي والعلمي.
- إشكالية الدراسة:

ولمعالجة هذا الموضوع قمنا بطرح إشكالية رئيسية، لتتفرع عنها مجموعة من التساؤلات الفرعية فكانت الإشكالية الرئيسة:

ما الدور التاريخي والحضاري للمرأة الرسمية والزبانية في مختلف مجالات الحياة؟

أما الأسئلة الفرعية فكانت كالتالي:

- هل كان للمرأة دورا سياسيا؟
- أين يكمن دورها التربوي والاجتماعي؟
- ما أهم النشاطات التي مارستها؟
- وفيما تتمثل أصناف العلوم التي برزت فيها؟

■ خطة البحث:

وعلى ضوء دراستنا للموضوع قسمنا موضوعنا إلى أربعة فصول علاوة عن المقدمة والخاتمة.

أما الفصل التمهيدي كان عبارة عن لمحة تاريخية حول تأسيس الدولتين الرستمية والزيانية والذي جاء في مبحثين، كان المبحث الأول حول نشأة وتأسيس الدولة الرستمية وتطرقنا فيه إلى بدايات نشأتها وحدودها وأئمتها وأخيرا سقوطها، وجاء المبحث الثاني حول نشأة وتأسيس الدولة الزيانية، أي حول تأسيس العاصمة، حدودها، حكامها وسقوطها، وكان الغرض من هذا الفصل هو تكوين فكرة عامة عن الدولتين الرستمية والزيانية، لأننا لا يمكننا فهم موضوع الدراسة الدور التاريخي والحضاري للمرأة في عهد الدولتين الرستمية والزيانية دون أن نعرف من تكون هذه الدول.

أما الفصل الأول تعرضنا فيه إلى إسهامات المرأة السياسية والاقتصادية في الدولتين الرستمية والزيانية والذي جاء هو الآخر في مبحثين، كان الأول يتمحور حول دور المرأة السياسي وتطرقنا فيه إلى دور المرأة في الحياة السياسية، الزواج السياسي ومشاركتها في الحرب، أما المبحث الثاني فكان عن دورها الاقتصادي فأولها كان النشاط الصناعي من خلال الصناعات النسيجية والفخارية والغذائية أما ثانيا فكان النشاط التجاري من خلال الدلالة والتجارة.

أما الفصل الثاني والذي عنون بدور المرأة الاجتماعي في الدولتين وتناولنا فيه ثلاث مباحث، كان المبحث الأول حول مكانة المرأة الاجتماعية، والمبحث الثاني حول دورها الاجتماعي، والمبحث الثالث حول دورها التربوي.

أما الفصل الرابع بعنوان دور المرأة العلمي في الدولتين الرستمية والزيانية، وهو الآخر تضمن ثلاثة مباحث، المبحث الأول حول تعليم المرأة والمبحث الثاني تناول دور المرأة في مجال التصوف والمبحث الثالث حول دور المرأة في مجال العلوم.

■ أهداف الدراسة:

لقد قمنا بهذا البحث بناء على أهداف معينة للوصول إليها أهمها:

■ إبراز دور المرأة في الدولتين الرستمية والزيانية، وإثراء الدراسات التاريخية المتخصصة.

- اعضاء أفكار جديدة عن المرأة وذلك من خلال دراسة النشاطات التي مارستها ومعرفة أهم ما قامت به سياسيا إلى جانب العلوم التي اشتهرت بها.
- بما أن الدولة الرستمية والدولة الزيانية دول جرت أحداثهما على أرض بلادنا، ولا تزال بعض آثارهما إلى يومنا هذا، فنحن نريد من خلال هذه الدراسة اعطاء صورة عن تاريخ المرأة ودورها في جميع الميادين.
- **الدراسات السابقة:**

عند بداية العمل في هذا البحث وجدنا بعض الدراسات السابقة التي استفدنا منها كما أنارت لنا الطريق نحو مصادر المادة الخبرية ومن بين هذه الدراسات:

- نبيلة عبد الشكور إسهام المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي. وهي رسالة دكتوراء تاريخ المغرب الاسلامي حيث استفدنا منها من خلال دور المرأة في الجانب الاجتماعي والثقافي للمرأة الزيانية والرستمية من زواج وتعليم.
- - الحياة الحضرية في الجزائر الرستمية لفتيحة قرواز، وهي رسالة ماستر في تاريخ المغرب الاسلامي حيث استفدنا منها فيما يخص دور المرأة الرستمية في اشعال الحروب والانتقام والثأر لأهلها وبلدها.
- نبيلة عبد الشكور: المرأة في أسطوغرافية الإباضية، وهو مقال في مجلة جامعة زيان عاشور استفدنا منه في ذكر بعض نساء كان لهن الدور السياسي للدولة الرستمية غلي جانب العمل الديني.

■ المناهج المتبعة:

اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج التاريخي باعتباره الأكثر ملائمة لدراسة البحوث التاريخية من خلال البحث عن المصادر وجمع المادة الخبرية وترتيبها ترتيبا زمانيا كما استخدمنا أيضا المنهج الوصفي، وتجلى ذلك في وصف الأنشطة التي كانت تمارسها المرأة ووصف طرق تعليمها .

■ أهم المصادر والمراجع:

وقد تطلب هذا البحث لإعداده مجموعة من المصادر والمراجع التي ساعدتنا على إتمامه
فسنسلط الضوء على ذكر أهمها

أولاً- المصادر:

- لابن الصغير: أخبار الأئمة الرستمين، الذي يعتبر من أهم المصادر المعاصرة للدولة لذا يعتبر كتابة أقدم مصدر مغربي متعلق بالرستمين، حيث تطرق ابن الصغير في كتابه هذا إلى تاريخ الأئمة الرستمين وسيرهم فاعتمدنا عليه في انجاز الفصل التمهيدي.
- الشماخي: السير، والذي يعد كتاب جد ثري بالمعلومات عن الفقهاء وعلماء الدولة والترجمة لهم، أفادنا في معرفة بعض النساء اللواتي كان لهن دور اقتصادي.
- للدرجيني: طبقات المشايخ، وهو لا يختلف عن كتاب الشماخي.
- أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر : سير الأئمة وأخبارهم، والذي تناول فيه ولاية كل إمام وما كان فيها من وقائع وقد ساعدنا هذا الكتاب في الاستشهاد برواياته لتدعيم بعض الأفكار.
- لمحمد بن عبد الله التنسي: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، ، اعتمدنا فيه على ذكر بعض أبرز وأشهر ملوكهم.
- أبي زكرياء يحيى ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الذي يعتبر من أهم المصادر المؤرخة لتاريخ الدولة الزيانية، استفدنا منه في معرفة دور المرأة بتلمسان في العديد من المجالات سواء في مجال الحكم أو السياسة.
- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: المقدمة، الذي أمدنا بالعديد من المعلومات سواء في المجال السياسي او الاجتماعي.
- الونشريسي: الفقه والنوازل المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والأندلس والمغرب، ويعتبر من أهم المصادر أيضا التي أثرت موضوعنا من حيث المادة العلمية، فصور لنا الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمرأة الزيانية من خلال الفتاوى الصادرة فيه عنها.

- ابن الحاج النميري: فيض العباب وإفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، اعتمدنا من خلاله على ذكر دور المرأة الزيبانية في مجال الحكم والسياسة والمشاركة في الحرب، بالإضافة إلى دورها في النشاط الاقتصادي.
- أبي العباس أحمد الخطيب: كتاب أنس الفقير وعز الحقيير الشهير ، الذي تكمن أهميته عن كونه تحدث عن الكثير من المتصوفات.

ثانيا- المراجع:

- بحاز إبراهيم: الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاجتماعية والحياة الفكرية، وهذا الكتاب جد مهم في إعداد هذه الدراسة خاصة أن جزء منه متخصص في موضوعنا فسهل علينا بذلك عملية البحث.
- محمد على دبور: تاريخ المغرب الكبير، الذي يحتوي على معلومات كثيرة وجد قيمة عن تاريخ المغرب حيث خصص الجزء الثالث من كتابه عن الدول المستقلة ومن بينها الدولة الرستمية فتطرق إلى الحديث عن المرأة من خلال تثقيفها وصلاحتها وتعليمها والاهتمام بها.
- على يحي معمر: الاباضية في موكب التاريخ، والذي يحتوي على مجموعة من الشخصيات النسائية التي قامت بأدوار مختلفة.
- بدرية بنت حمد الشقصية: السيرة الزكية للمرأة الاباضية، الذي أبرزت فيه دور المرأة الاباضية من خلال ترجمتها لنساء قمن بأعمال إصلاحية وأدوار تربوية.
- زينب بنت توفيق عمي السعيد: الحياة الاباضية في عهد الدولة الرستمية، الذي أفادنا كثيرا في الجانب العلمي للمرأة.
- عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزيباني، بجزأيه استفدنا منه فيما يخص دور المرأة مقاومة الحصار وتشجيع المقاتلين، إضافة على ذلك ابراز دورها في المجال الاقتصادي.
- مختار حساني: تاريخ الدولة الزيبانية الأحوال الاقتصادية والثقافية، بجزأيه وتكمن أهمية الكتاب في تزويدنا بمعلومات تخص الجانب الاقتصادي ومساهمة المرأة فيه.

■ صعوبات البحث:

وككل بحث فهو لا يخلو من المشاكل والصعوبات والتي هي سمي من سمات البحث فمن الصعوبات التي واجهتنا:

- قلة المادة المصدرية التي تناولت موضوع المرأة ودورها في الدولتين الرستمية والزيانية.
- أغلب المراجع والمصادر التي كتبت عن الدولة الرستمية لم تركز على المرأة بصفة خاصة وإنما الإشارة إليها فقط في أغلب الأحيان.

الفصل التمهيدي: تأسيس الدولتين الرستمية والزيانية

المبحث الأول: نشأة وتأسيس الدولة الرستمية

المبحث الثاني: نشأة وتأسيس الدولة الزيانية

المبحث الأول: نشأة وتأسيس الدولة الرستمية

أولاً - نشأتها وحدودها:

تنسب الدولة الرستمية إلى مؤسسها عبد الرحمان بن رستم الذي انتقل الى المغرب الأوسط إيدانا بظهور الدولة الرستمية التي أصبحت قوة جديدة لها أثرها البالغ في تشكيل أحداث المغرب كله إلى نهاية القرن الثالث الهجري، واختلفت المصادر في طبيعة نسبه¹ فهناك من ينسبه إلى ملوك جاماسب بن فيروز، وهو عم أنو شروان "بنو رستم ملوك تاهرت ولد جاماسب"²، ويذكر آخر أنهم من بقايا الأشبان وهو إباضي الأصل وأنهم من الفرس ناقلة من بلاد أصبهان³.

ويرفع البكري نسبه إلى ملوك الفرس فهو بهرام بن دوشر ابن سابور ابن بابكان بن سابور ذي الأكتاب الملك الفارسي⁴، وكان عبد الرحمان بن رستم من مسلمة الفتح وهو من ولد رستم أمير الفرس بالقادسية⁵، أما الدرجيني فيقول هو عبد الرحمان بن رستم بن بهرام بن كسرى الملك الفارسي كان أبوه منجما وكان يرى في العلم مدخر عندهم⁶.

بويع عبد الرحمن بالإمامة، ولقد وصف لنا ابن الصغير الطريقة التي تمت بها المبايعة فيقول: "لما نزلت الإباضية⁷ مدينة تاهرت وأرادوا عمارتها اجتمع رؤسائهم فقالو قد علمتم أنه لا

1 محمد زينهم محمد عزب: قيام وتطور الدولة الرستمية بالمغرب، دار العالم العربي، ط1، القاهرة، 2013، ص21.

2 أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط5، القاهرة، (د.ت.ط)، ص51.

3 أبو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي(ت346هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، مؤسسة دار الهجرة، (د.ت.ط)، (د.م.ط)، ج1، ص186.

4 أبو عبد الله البكري: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، دار الكتاب الاسلامي، (د.ت.ط)، القاهرة، ص67.

5 أحمد بوزيان: تيارات من آل رستم إلى الأمير عبد القادر، دار المدار الثقافية، ط1، البلدة، 2013، ص37.

6 أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني(ت670هـ): طبقات المشايخ، تح: ابراهيم طلاي، (د.ت.ط)، (د.م.ط)، ج1، ص19.

7- الإباضية: تنتسب إلى عبد الله بن إباض بن تيم الليث بن ثعلبة، رهط الأحنف ابن قيس التيمي، وهو من طبقة التابعين عاصر معاوية بن أبي سفيان (40-61هـ) مؤسس الدولة الأموية الثاني، قال عنه الامام الاباضي "هو الذي فارق جميع الفرق الضالة عن الحق، من المعتزلة والقادرية والصفائية، والجهامية والخوارج، والروافض والشيعة وهو أول من بين مذهبهم ونقض فساد اعتقادهم"، ينظر: محمد حسين مهدي: الإباضية نشأتها وعقائدها، الأهلية للنشر، ط1، عمان، 2011، ص56.

يقيم أمرنا إلا الإمام فنرجع إليه في أحكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا ويقيم لنا صلاتنا ونؤدي إليه زكاتنا ويقيم فينا..¹.

ومن مدينة تاهرت² رأى عبد الرحمان بن رستم بعد أن بويع بالإمامة، أن يتخذ لنفسه عاصمة يباشر منها مهام الحكم، وكان عليه أن يوفر لهذه العاصمة كل عناصر الأمن والرخاء، لذا فقد استعان بأهل العلم والخبرة بالأرض وانضم إليهم في هذه المهمة رؤساء العابدين وكبراء الزاهدين، وطاف الجميع أنحاء البلاد يبحثون عن مكان يصلح لبناء العاصمة حتى استحسنا موضع تاهرت وهو على بعد خمسة أميال من تاهرت القديمة³.

أما عن حدودها فلم تعرف الدولة الرستمية حدودا ثابتة ظاهرة المعالم، إذ أن فكرة الحدود بمعناها الحالي لم تكن معروفة في تلك العصور فوضع حدود هذه الدولة إنما يكون من باب التقريب⁴، فالدولة الرستمية إذا واقعة بين الدولة الإدريسية غربا فاعتبروا "تاهرت على البحر من بلاد بلاد ادريس بن ادريس"⁵ ومملكة الأغالبة شرقا، فهي تمتد من تلمسان غربا حتى طرابلس شرقا، وفي الشمال الغربي كانت حدود المملكة تمتد حتى البحر الأبيض، وفي الجنوب كانت رقعة الدولة الرستمية تشمل عددا من الواحات أهمها وادي ريغ و وارجلان إلى جانب الزاب وجزء من الجريد⁶.

الجريد⁶.

يظهر مما تقدم أن حدود الدولة الرستمية كانت تشمل المناطق المحيطة بتاهرت ومنطقة طرابلس - باستثناء المدينة - وأجزاء متفرقة من بلاد الجريد، وكان مما ساعد على هذا الامتداد أن

1 ابن الصغير المالكي: أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر و ابراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1405هـ/1985م ص ص 25-26.

2 أحمد بن واضح البيهقي: البلدان، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت.ط)، ص 195.

3 محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ-296هـ)، دار القلم، ط3، كويت، 1408 هـ-1987م، ص 95.

4 بحاز ابراهيم: الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر، 2010، ص 98.

5 أبي علي أحمد بن عمر ابن رسته، الأعراف النفيسة، مطبعة برياء، لندن، 1892، مج 7، ص 196.

6 أبي زكريا يحيى بن ابي بكر (ت 471): سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979م، ص 9.

الدولة الرستمية لم تضع لنفسها حدودا سياسية مرسومة، وإنما جعلت من طبيعة مذهبها وعلاقتها بالجماعات الإسلامية سبيلا جديدا يبين حدودها¹.

ثانيا- أئمتها:

1- عبد الرحمان بن رستم (160-171هـ/776-787م):

دامت مدته على مدينة تاهرت² سبعة أعوام، امتاز عهده بالاستقرار السياسي والاجتماعي وهذا باعتماده على رجال أكفاء استعان بهم في إقامة العدل بين الناس وخلق انسجام بين فئات المجتمع على اختلاف عناصر السكان، وتعدد لغاتهم وتنوع عاداتهم، كما أن عهده سلم من الفتن السياسية والقتال الاجتماعية³. لما توفي عبد الرحمان ولى بعده ابنه عبد الوهاب (168-190هـ/784-805م)⁴، حيث كان أحد المترشحين للإمامة اعتمد في فترة حكمه على سياسة فرق تسد، وعمل على استقطاب القبائل بالهبات والإكرام وكسب تأييد فقهاء المذهب⁵.

2- الإمام أفلح (190هـ/240هـ/805-854م):

وكان حكمه أطول حكم عرفته الدولة الرستمية إذ دام خمسين أو ستين سنة، كان متصفا بالحزم الشجاعة وقد تهيأ للزعامة بفضل الحروب التي لعب فيها دورا ملحوظا، وقد تحول للتسيير قبل وفاة أبيه واستطاع أن يحكم بكل جدارة واستطاعت تاهرت أن تشهد في عهده تحولا هاما وبفضل

1 جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984، ص 61.
2 تاهرت: مدينة من مدن المغرب الأوسط (الجزائر) وتذكر الروايات أن عبد الرحمان بن رستم، والي القيروان من قبل الامام أبي الخطاب، في إمامة طرابلس، قد بنى هذه المدينة عقب فراره من جيوش محمد بن الأشعث بعد هزيمة أبي الخطاب عام 144هـ/761م، وقد بناها على بعد خمسة أميال في الجنوب الغربي لمدينة تاهرت القديمة التي ترجع إلى العصر الروماني، وقد أصبحت هذه المدينة مضرب الأمثال في جمال طبيعتها وموقعها الممتاز، واتخذها الاباضية عاصمة لإمامتهم في المغرب الأوسط، ينظر: الباروني: الأزهار الرياضية لأئمة ملوك الإباضية، الأهلية للنشر، ط1، عمان، 2011 ص 42.
3 عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ط) الإسكندرية، 2011، ص 421.
4 أبي زكريا: مصدر سابق، ص 56.
5 جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المرجع السابق، ص 64.

حنكته السياسية استطاع أن يجمع حوله القبائل ويحصل على هيبتها مع المحافظة على السلم والاستقرار بين الإباضية وغيرهم من سكان المدينة¹.

3-أبا بكر(240-241هـ/854-855م):

رابع أئمة الدولة الرستمية تولى الحكم بعد وفاة والده، لم يكن له من الشدة والتجربة ما كان لأبيه تميزت فترة حكمه بالفتن والحروب ويرجع ذلك إلى إهمال أبي بكر أمر البلاد وسوء إدارته وضعف شخصيته مما أتاح المجال لإثارة العصبية واشتعال الحروب، فكانت لها نتائج سيئة على تاهرت².

4-أبا اليقظان(241-281هـ/855-894م):

تمتعت الدولة الرستمية في عهد أبا اليقظان بكثير من الإصلاحات الداخلية التي ساهت في دعم مركز الدولة السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وألقى إلى قوم من نفوسة مهمة مراقبة الأسواق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمحافظة على المظهر العام للعاصمة تاهرت، فواصل أبا اليقظان جهوده في إصلاح ما أفسدته الحروب الأهلية وظلت أحوال الدولة هادئة في عهده إلى نهاية حكمه حتى جاءت سنة(281هـ-894م) فتوفي فيها أبا اليقظان³.

5-أبو حاتم يوسف(281-294هـ/894-906م):

ظهرت في عهده عدة قوى منافسة له في تاهرت كعمه يعقوب وأخيه يقظان وجماعات العرب والقبائل غير الإباضية وجمهور المتدينين، استخدم سياسة كسب الاتباع بالبذل والعطاء فأعطى الأموال، إلا أن المعارضة في تاهرت شعرت بتمسك الرستميين فاتفقوا على اسنادها إلى يعقوب بن أفلح، لم ييأس أبو حاتم ودارت الحرب بينه وبين عمه يعقوب⁴، كانت فترة حكمه مليئة بالحروب والفتن الدامية⁵.

1 ابن الصغير: مصدر سابق، ص21.

2 جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، مرجع سابق، ص ص66-67.

3 محمد عيسى الحريري: مرجع سابق، ص ص180-183.

4 جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، مرجع سابق، ص69.

5 ابن الصغير: مصدر سابق، ص22.

6-اليقظان بن أبي اليقظان(294-296هـ/906-908م):

يعتبر آخر حكامها ارتقى هذا الأخير إلى الإمامة بعد نجاح المؤامرة على أبي حاتم وقتله ، ورغم أن فترة إمامته امتدت إلى سنتين إلى أن هذه الفترة سادتها عوامل الانقسام والاضطراب، الانقسام تمثل في مجموعة من شيوخ الإباضية كانوا ساخطين على اليقظان لأنهم كانوا يعتقدون بأنه مشترك في مؤامرة قتل أبي حاتم، أما عوامل الاضطراب تمثلت في خطر الشيعة ببلاد المغرب الذي بدأ يقترب من حدود الدولة الرستمية¹

ثالثا-سقوطها:

لم يكن سقوط الدولة حدثا عفويا بقدر ما كان نتيجة حتمية لما وصلت إليه الأمور من تدهور وانحطاط، لعب الرستميون دورا رئيسيا فيه بسياساتهم فقد لاحظنا أن الحماس للمذهب الذي كان على عهد جدهم عبد الرحمان قد ضعف وانحرف عن مبادئ المذهب، فافتقدوا العصبية المذهبية، وكان اعتمادهم على جماعات الفرس، وتمسكهم بالإمامة يعني أنهم كانوا يقفون ضد كل محاولة لإقامة دولة إسلامية بربرية أو عربية، فحسرو كثير من تأييد المجتمع لهم، وباتوا تنقصهم العصبية، التي تعتبر الركيزة الأساسية في قيام الدولة، كما أن الرستميون عاشوا حياة مترفة فلم يعودوا يفكرون في الحرب و النضال، فأهملوا العناية بالجيش وعجزوا عن الدفاع عن مدينتهم².

مرت على الدولة الرستمية العديد من الصراعات والفتن والثورات ساعدت على نهايتها إلى جانب مجموعة من العوامل من بينها دخول أبو عبد الله الشيعي إلى تاهرت ونهبها والقضاء على مكتبة المعصومة التي تحمل تاريخ الدولة الرستمية، كما قام بتنصيب أبا حميد دواس بن صولات اللهيصي، وابراهيم بن محمد اليماني المعروف بالهوارى على تاهرت وبهذا أنهى الدولة الرستمية رسميا،

1 محمد عيسى الحريري: مرجع سابق، 182ص.

2 جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، مرجع سابق، ص70.

فهرب أغلبهم إلى جبال الأوراس وإلى جبال بني راشد، وبعضهم انطلق إلى جبل نفوسة وجربة¹. وانقطع ملك بني رستم في سنة 296هـ².

المبحث الثاني: تأسيس الدولة الزيانية وسقوطها

أولاً-نشأتها وحدودها:

لاشك أن الحديث عن ظهور دولة بني عبد الواد أو بني زيان وقيامها، يدعونا إلى الوقوف عند العوامل التي ساعدت على سقوط الدولة الموحدية وضمحلها، فقد كان الموحدون في ذلك الوقت حماة دار الإسلام في المغرب والاندلس، إلا أنه في مطلع القرن السابع الهجري، الثالث عشر ميلادي بدأت الأوضاع داخل الدولة الموحدية³ تتغير والأمور تتبدل على الساحة المغربية والاندلسية بسبب عوامل الضعف والتفكك الذي أصاب الموحدين، ولاسيما بعد معركة العقاب في الأندلس سنة 609هـ/1212م، ثم تلتها أزمة أخرى، وهي ثورة بني غانية⁴، فضلا عن الحروب المتكررة التي كانت تنشب بين بني مرين والموحدين، فكانت هذه الهزائم المتتالية للموحدين سببا في ضعفهم، وفي

1 محمد عيسى الحريري: مرجع سابق، صص 185-186.

2 ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س كولان و إ.ليقيروقتسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983، ج1، ص197.

3 الدولة الموحدية: (515-674هـ/1121-1275م) تأسست على يد ابن تومرت و كانت عاصمتها مراكش، وفي عهد عبد المؤمن بن علي الكومي استطاع أن يفتح المغرب في ثلاث كرات: الأولى فتح فيها مغرب المرابطين، والثانية فتح فيها بجاية، و الثالثة فتح فيها المهديّة، ودخلت في طاعته جزيرة الأندلس، فكانت مملكته تنتهي شرقا إلى التراب المصري شرقي طرابلس وغربا إلى البحر المحيط وجنوبا إلى الصحراء وشمالا إلى البحر الأبيض، وتجاوزته إلى الأندلس فشمّلها من الجزائر الشرقية إلى لشبونة، قاومت الإسبان في الأندلس، بالإضافة إلى مقاومتها النزاعات الداخلية، إلى أن سقطت على يد بني مرين، ينظر: مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تص: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت.ط)، ج2 صص 303-304، مجموعة من العلماء و الباحثين: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، الرياض، 1419-1999، ط2، مج: 24، ص371.

4 بنو غانية، ينتمون إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية التي ينحدر منها بنو تاشفين أمراء المرابطين، كانوا ولاية على دانية فامتلكوا جزر البليار شرق الاندلس واستقلوا بها وأعلنوا ولائهم للدولة العباسية ثم ثاروا على الموحدين، فغزوا بجاية، مليانة، قلعة بني حماد قسنطينة والجزء الشرقي للدولة وهي المعروفة بالبلاد الإفريقية، ينظر: عبد العزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية، ج1، موفم للنشر، د.ط، الجزائر، 2002، ج1، ص30.

خضم هذه الأحداث الكبيرة تمكن بنو عبد الواد أو بنو زيان من تأسيس دولتهم سنة 633هـ/1235م، وكانت عاصمتهم مدينة تلمسان¹.

تنسب الدولة الزيانية إلى بنو عبد الواد، وهم ينتسبون إلى شحيح بن واسين²، وهم من بني زناتة³ ويرجح أن يكون بنو عبد الواد من جملة الجيوش التي قادها عقبة بن نافع في زحفه نحو الغرب سنة 62هـ/682م⁴.

استقر بنو عبد الواد جنوبي وهران، بعد أن طردهم عرب بنو هلال من زاب قسنطينة، ولم يظهروا على مسرح الأحداث بناحية تلمسان إلا في منتصف القرن الثالث عشر ميلادي كمقاومين أولا ثم كحلفاء لعبد المؤمن الموحد، وأخيرا فإن أميرهم يغمراسن بن زيان الذي أشتهر بالشجاعة والإقدام، اتخذ عام 633هـ/1236م شعار الملكية تحت سلطة الخليفة الموحد بمراكش، وذلك للوقوف في وجه بني مرين الذين أحضعوا شمال المغرب إلى نفوذهم⁵.

¹ ابن عذارى: مصدر سابق، ج1، ص ص13-14.

² أبي زكرياء يحيى ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، بيبز بونطانا الشرقية، الجزائر، 1903، ج1، ص95.

³ زناتة، قبيلة مغربية تتكون من بطون عديدة متشعبة، تختلف في لهجتها عن بقية لهجات البربر الأخرى والدليل على ذلك قول ابن خلدون: "وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر" وتتواجد أكثرية بطونها بالمغرب الأوسط حتى أنه نسب إليهم ويعرف بهم فيقال "وطن زناتة"، ويذكر ابن خلدون أن لهم شعوب أكثر من أن تحصى مثل: مغراوة و بني يفرن وجرارة وواسين وبنو مرين وتوجين وبنو عبد الواد وبنو راشد وبنو ورنيد وغيرهم وكانت مواطنهم من لدن جهات طرابلس إلى جبل الأوراس والزاب إلى قبلة تلمسان ثم إلى وادي ملوية، ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، بيت الأفكار الدولية، الرياض، السعودية، (د.ت.ط)، ص1803.

⁴ الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، تر، محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت لبنان 1983، ج2، ص87.

⁵ نفسه، ص88.

أما عن حدودها فتعتبر قاعدة المغرب الأوسط¹، ودار مملكة زناتة²، تمتد على ثلاثمائة وثمانين ميلا من الشرق إلى الغرب، لكنها تضيق جدا من الشمال إلى الجنوب، إذ لا تتعدى المسافة خمسة وعشرين ميلا في بعض النقط من البحر المتوسط إلى صحراء نوميديا، يحدها واد زاب ونهر ملوية غربا، وصحراء.

نوميديا جنوبا³، تتميز بأربعة أقاليم، أولها وأهمها الذي يحمل اسم المملكة، يحمل الثاني اسم تنس، والثالث اسم الجزائر، وهو موريطانيا القيصرية، والأخير اسم بجاية التي يجعلها بعضهم في مملكة تونس⁴.

ثانيا- أشهر ملوكهم:

قام والي تلمسان أبا سعيد عثمان أخو إدريس المأمون بالقبض على مشيخة بني عبد الواد واعتقلهم زمنا طويلا، إلى أن شفع له فيهم إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي، فرد شفاعته فغضب لذلك و حملته العصبية إلى أن جمع قومه وسرح بني عبد الواد واعتقل مكانهم أبا سعيد عثمان وخلع طاعة الموحدين، وتناول لإحياء الدولة اللمتونية ولكنه رأى أن ذلك لا يتم إلا بقتل جابر بن يوسف ومشيخة بني عبد الواد، إلا أن خططه كشفت فقبض عليه وعلى أصحابه ودخل جابر بن يوسف وإخوته تلمسان، وأعاد الدعوة للمأمون وضبط أمورها واستقل بحكمها وانضمت إليه جميع بطون بني عبد الواد وبايعته إلا ندرومة، فتوجه إليها وحاصرها إلى أن أصيب بسهم سنة 629هـ، ثم خلفه ولده الحسن ستة أشهر وانخلع عنها لعنه عثمان بن يوسف إلا أنه كان فظا غليظا أساء الحكم، فأخرج منها سنة 631هـ، ثم تولى الأمر بعده عزة زيدان بن زيان بن ثابت بن محمد بإجماع

1- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، (د.م.ط)، 1974، ص 135.

2 مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون للثقافة العامة، العراق، بغداد، (د.ت.ط)، ص 176.

3 الحسن بن محمد الوزان الفاسي: المصدر السابق، ج2، ص 7.

4 مارمول كرنجال: إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد زبير، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، دار نشر المعرفة، الرباط، 1988-1989، ج2، ص291.

من قبيله سوى بني مطهر، فحاربهم إلى أن قتلوه سنة 633هـ، وموته انقطعت دعوة بني عبد المؤمن من تلمسان، ثم خلفه أخوه أبي يحيى يغمراسن بن زيان¹.

1- يغمراسن بن زيان:

هو أبو يحيى يغمراسن بن زيان بن ثابت، ولد سنة 603هـ/1206م بتلمسان²، ببيع يوم وفاة أخيه أبي عزة زيدان سنة 633هـ/1235م³، أول من استقل بتلمسان من سلاطين بني عبد الواد، مدة حكمه 44 سنة وخمسة أشهر و12 يوماً⁴، قضى فترة حكمه في بناء الدولة وتحسينها وتشجيع الحركة الفكرية بها⁵.

2- أبو سعيد عثمان بن يغمراسن: 681-703هـ/1283-1303م

عرف عهده بكثرة الثورات من قبل القبائل البربرية المعارضة للدولة الزيانية أمثال بنو توجين ومغراوة، وبذلك استطاع أن يمد نفوذ الدولة إلى كل الأراضي التابعة للدولة في عهد يغمراسن حوصرت تلمسان في عهده لأكثر من ثمان سنوات، ويقال أنه توفي خلال ذلك الحصار وتولى بعده ابنه أبو زيان محمد 703-707هـ/1303-1308م، حكم هذا السلطان الدولة في ظروف مأساوية للغاية، ذلك أن الدولة فقدت أغلب أملاكها باستقلال قبائلها أو تعاونها مع القوة المرينية ويقال أنه توفي بعد الحصار مباشرة وتولى الحكم بعده السلطان أبو حمو موسى الأول 707-718هـ/1308-1318م، تميز عهده بإصلاح ما تهدم خلال الحصار المريني واستعادة الأراضي التي فقدتها الدولة واستولت عليها القبائل⁶.

3- عبد الرحمن أبو تاشفين: 718-737هـ/1318-1337م

1 أبي زكرياء يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ج1، صص 106-107-108.
 2 ابن الأحرر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، بورسعيد، 1421هـ-2001م، ص59.
 3 عبد الرحمن بن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، ط2، بيروت، 1385هـ/1965م، ج2، ص132.
 4 ابن الأحرر: المرجع السابق، ص59.
 5 مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ج1، ص17.
 6 مختار حساني: مرجع سابق، ص11.

اعتبر من أقوى أمراء الدولة بعد يغمراسن بن زيان، فقد استطاع أن يجمع الثورات التي عرفتھا الدولة، عرف عصره ازدهارا في جميع الميادين الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، كما قام بحركة عمرانية داخل تلمسان وخارجھا، لكنه لم ينعم بھده العظمة التي وصلتها الدولة، لأن الدولة المرينية رأت في بقاءه خطرا، فتحالفت مع الدول الحفصية، وبذلك أصبح أبو تاشفين يواجه الخطر الحفصي من الشرق والمرينيين من المغرب، مما جعله يتحصن بتلمسان ويتولى قيادة جيش الدولة بنفسه واستمر بالقتال حتى سقط أمام قصره.¹

4- أبو حمو موسى الثاني: 760-791هـ/1359-1389م

تميزت فترة حكمه بكثرة الحروب التي عرفتھا الدولة إلا أنه كان ذا دور فعال في الحركة الثقافية والاقتصادية، وشجع المبادلات التجارية والتقرب من العلماء، لذلك يعتبر عصره من أرقى عصور الدولة بالنسبة للحياة الفكرية.²

5- أبو عبد الله محمد الثالث المتوكل على الله: 866-837هـ/1262-1468م

تولى الحكم بعد محاصرته لتلمسان سنة 866هـ/1461م وسقوطھا في يده بعد يومين من الحصار فقط، وقبض على سلطانھا أحمد العاقل الحفصي، كان يعد من الحكام العظماء الأقياء الذين تعاقبوا على عرش بني زيان³، بالإضافة إلى أنه حظي باحترام وتقدير كبيرين عند علماء تلمسان كما يظهر لنا من خلال علاقته بأشهر علماء تلمسان، وهو محمد بن عبد الله التنسي وقد ألف له " نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان " حيث أشار في مقدمته إلى نھوضه في دمة السلطان محمد المتوكل لما كان " من جملة من غمرته آلاؤه، وتوالت عليه نعمائھ، وألبسته منه حللا ضافية.. " وقد بذل جهودھ كلها في خدمته قائلا: " واستعملت في ذلك ما رجوت أن يكون نافعا من بضاعتي "، إلى أن قال: " عسى أن أقوم ببعض واجب حقھ علي ".⁴

1 نفسه: صص 12-13.

2 نفسه: ص 18.

3 عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ج 1، ص 72.

4 محمد بن عبد الله التنسي: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح

محمود آغا بوعيايد، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 35.

ظلت الدولة الزيانية في عهده تخضع للنفوذ الحفصي وهيمنة سلاطينهم عليها، إلى أن توفي سنة 873هـ/1468م.¹

ثالثا-سقوطها:

منذ تاريخ سقوط الأندلس الإسلامية سنة 897هـ/1492م أصبحت شواطئ ومدن المغرب الأوسط عرضت لتهديدات الجيوش الإسبانية، فنقلوا بذلك الحرب من أرض الإسبان إلى أرض المغرب الإسلامي، انتقاما من المغاربة الذين استقبلوا الأندلسيين الفارين إليهم من سيوف الأندلسيين ومن محاكم التفتيش.

فقد اغتتم هؤلاء المعتدون فرصة ضعف بني زيان والاضطرابات الداخلية التي ما فتئت تنشب من حين لآخر، بخروج الطامعين في السلطة من البيت الحاكم، فأخذوا يتدخلون في شؤون الدولة بتأثيرهم على حكامها، واقتطاع الكثير من المدن وبالتالي تقلص نفوذ السلطة الزيانية، فتحسر أعيان مدينة تلمسان على هذه الوضعية التي آلت إليها دولتهم، فقرروا أن يقوموا بمقاومة هذا الخطر المسيحي، فأرسلوا وفدا إلى القائد العثماني "عروج" يستنجدون به من مدينة الجزائر فتقدم نحو مدينة تلمسان سنة 923هـ/1518م، وأخرج منها أبا حمو الثالث الذي تولى حكم تلمسان بعد وفاة محمد الخامس سنة 922هـ/1517م وقام بتنصيب أبا زيان على العرش الزياني، إلا أن أبا زيان لم يكن راضيا على هيمنة الأتراك فقطع الاتصال بهم و خلع طاعتهم وولائهم، وهذا هو السبب المباشر في عودة عروج إلى تلمسان مرة ثانية، فقتل أبا زيان ومن معه²، فتوجه على إثر ذلك أبا حمو الثالث إلى وهران فاصدا الامبراطور شارل كارلوس متضرعا إليه لينجده ويعينه على أهل تلمسان وعروج، فأرسل معه سنة 924هـ/1518م جيشا هائلا استطاع أبا حمو بواسطته أن يرجع مملكته ويقتل عروج وعددا من اتباعه³.

كما ساعد على ضعف الدولة الزيانية، ظهور قوة ثالثة في المنطقة، وهي دولة الأشراف السعديين بالمغرب الأقصى، التي أخذت تنظر إلى حوادث ووقائع المملكة الزيانية بغاية الدقة وترقب

1 عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ج1، ص73.

2 نفسه: ص ص75-76.

3 الحسن بن محمد الوزان الفاسي: المصدر السابق، ج2، ص ص9-10.

جميع حركاتها، حتى سنحت لها فرصة ضمها إلى مملكتها، فانتهرتها وزحف سلطانها المولى محمد المهدي السعدي إلى المغرب الأوسط، فاحتل تلمسان سنة 957هـ/1550م، ثم تقدم الجيش السعدي نحو الشلف لغزو مدينة الجزائر وطرد الأتراك منها، فأسرع باي الجزائر بيعث الحامية إلى تلمسان فالتقى الجمعان قرب مستغانم، فانهزم السعديون وتقدم حاكم الجزائر حسن باشا إلى تلمسان فعزل عنها أبا زيان وولى مكانه الحسن بن عبد الله الزياني سنة 957هـ/1550م، فكان وهو على عرش أجداده كعامل موظف لا غير إذ ليس له من النفوذ شيء و يصفه التاريخ بالعجز والقصور في تسيير مملكته¹،

فأجتمع مجلس العلماء يومئذ وأعلن خلعه سنة 962هـ/1554م، وأعلن صالح رايس نهاية دولة بني زيان وانضمام تلمسان نهائيا إلى الدولة الجزائرية².

1 عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: المرجع السابق، ص 229.

2 أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت.ط)، ص 329.

الفصل الأول: دور المرأة السياسي و الاقتصادي في الدولتين

الرستمية والزيانية

المبحث الأول: دور المرأة السياسي

المبحث الثاني: دور المرأة الاقتصادي

المبحث الأول: دور المرأة السياسي

أولاً- المرأة والحياة السياسية

لم تقدم المصادر التي بين أيدينا صورة واضحة عن دور المرأة السياسي إلا أن الأمر لا يخلو من وجود عدد منهن كان لهن شأن في هذا الميدان، إذ لم تشارك في الحروب بطريقة مباشرة أو ظهرت في الميدان العسكري وإنما كان لها دور في الحياة السياسية من خلال التحذير، والتوجيه، والتأثير، إلى جانب ظهور ما يعرف بالمصاهرة التي تعتبر ضمن الزواج السياسي من أجل السلطة والولاء والتوسع.

1- الدولة الرستمية:

تعددت الأحداث التاريخية التي تبين دور المرأة في الحياة السياسية، ومن بينها غزال زوجة أبو اليقظان حيث استطاعت هذه المرأة أن تؤثر على زوجها وترغمه على إسناد ولاية العهد إلى ابنها أبي حاتم¹، كما نجد زوجة أبي يوسف حجاج بن فندين الذي اشترك في مؤامرة دبرها مع رئيس فرقة الخلفية خلف بن السمع بن أبي الخطاب، للخروج على طاعة الإمام عبد الوهاب بن عبد الله، ولما دخل أبو يوسف بيته صاحت زوجته في وجهه غاضبة على فعله السيئ والمشين بعدما علمت بخبره قائلة له: "إليك عني بائع دينك"².

وكان للمرأة دور في اشتعال الحروب، ومثال ذلك ما قامت به دوسر بنت الإمام يوسف رحمه الله، التي ذهبت تشكو إلى أبي عبد الله الشيعي مقتل أبيها وتطلب منه الانتقام من عمومته بني أبي يقظان الذين غدروا به، مما يفهم منه أن السيدة دوسر كانت المحرصة للشيعي على فتح تاهرت³، حيث وعدته أن يتزوجها إن هو أخذ لها ثأر أبيها، فسأله أبو عبد الله

1 نبيلة حساني: المرأة في الأسطوغرافيا الاباضية، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع14، (د.ت.ط)، جامعة الجزائر2، ص253.

2 نبيلة عبد الشكور: المرأة في الأسطوغرافية الاباضية، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور، ع2، الحلقة، فبراير 2014 ص100.

3 سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي(تاريخ دولة الأغالبة والرستمين وبني مذار والادارة حتى قيام الفاطميين)، منشأة المعارف، 1993، ج1، ص395.

الكجاني¹ من أنت؟ قال: أنا اليقظان فقال بل أنت حيران، ما الذي دعاكم إلى قتل أميركم فأسلمتم ملكه، وأطفأتم نور الإسلام بغير سبب، وألقيتم بأيديكم إلينا بغير قتال².
كما عملت بمفاوضته في أمر إعلانها الولاء له أو أمر تعيين أخيها واليا على تاهرت من قبله، وهذه الشخصية التي تحلت بها تتم على أنها كانت تقوم بدور سياسي في تاهرت³، أدت إلى اضمحلال النظام الرستمي وسقوطه على أيدي أصحابه، حيث أصبحت دوسر وإخوانها عيوننا للداعية الفاطمي من أجل أخذ الثأر لأبيهم من الإمام اليقظان بن أبي اليقظان المتهم بقتل أبي حاتم⁴.

ورغم أن دوسر استطاعت أن تتأثر لأبيها، إلا أنها لم تنتصر على الرجل الذي أحبها وأرادها كزوجة وعندما طلبها، علم أنها فرت مع عمها يعقوب بن الإمام خفية منه نحو مدينة وارجلان وعندما دخل المدينة نهبها وانتهك حرمتها وأجلى كثيرا مما فيها وجعل أعزة أهلها أذلة⁵، والغاية التي سعت إلى إشعال نار الفتنة وتحطيم الدولة من خلال استغلال الخلاف الحاصل بين أبي بكر وصهره ابن عرفة، حيث قام هذا الأخير بتوكيل العديد من مهام الدولة إلى أبي اليقظان لحظة وصوله من المشرق التي كان ابن عرفة يتوق إليها ولم يصل، فامتأ قلبه حقدا على أبي بكر وجهر بذلك للناس فدبرت الغاية على اغتيال ابن عرفة واتهمت به أبي بكر، نجحت المؤامرة كما خططتها نجاحا كاملا فقد وقع الخلاف وانقسمت الأمة على نفسها⁶.

1 الكجاني: أو الإيكجاني نسبة إلى قلعة أيكجان التي اعتصم بها في نظر مدينة ميله من بلاد كتامة من رقادة في طريقه إلى سجلماسة لطلب الإمام مهدي. أنظر سعد زغلول عبد الحميد: مرجع سابق، ص 394-395.

2 الدرجيني: مرجع سابق، ص 94.

3 جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 319.

4 فتيحة قرواز: الحياة الحضريّة في الجزائر الرستمية، (260-296هـ/777-909م)، مذكرة ماستر، تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، اشراف ميلود ميسوم، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2011-2012، ص 113.

5 نبيلة عبد الشكور: المرأة في الأسطوغرافية الإباضية، المرجع السابق، ص 97.

6 علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري، ط3، عمان، 1429هـ-2008م، مج2، ص 80.

2-الدولة الزيانية:

قامت المرأة الزيانية بدور هام في الحياة السياسية، وتشهد على ذلك الأحداث التاريخية، فقد تدخلت في الشؤون الداخلية للحكم من خلال الصراع بين بني حفص وبني زيان، عندما خرج الأمير أبو زكرياء صاحب تونس إلى تلمسان في جيش جملته أربعة وستون ألفا من الفرسان فحاصرها حتى أخذها عنوة على صاحبها يغمراسن بن زيان، فلما رأى يغمراسن ما أحاط بالبلد قصد باب القصبه فاعترضته عساكر الموحدين فقصد نحوهم وجدل بعض أبطالمهم فأفرجوا له ولحق بالصحراء، وافتتحت جيوش الموحدين تلمسان من كل حدب وعاثوا فيها¹، ولما خمدت نار الحرب أمعن الأمير أبو زكرياء نظره فيمن يقلده أمر تلمسان والمغرب الأوسط، فخاطب يغمراسن خلال ذلك الأمير أبا زكرياء راغبا في القيام بدعوته بتلمسان، فراجعته بالإسعاف واتصال اليد على صاحب مراكش، و سوغه على ذلك جباية اقتطعها له، و أطلق أيدي العمال ليغمراسن لجبايتها وفدت أمه سوط النساء للاشتراط و القبول فأكرم وصلها و أسنى جائزتها وأحسن وفادتها و منقلبها²، فعقد صلح و معاهدة بينهما على الجلاء مقابل الولاء³.

يذكر لسان الدين بن الخطيب أن هنالك امرأة تقدمت يغمراسن بن زيان مجال الحكم والسياسة وهي زوجة أخيه، ولكن يغمراسن حاز الشهرة، واستحق الذكر⁴، كما عملت المرأة داخل البلاط الزياني بالشؤون الإدارية الخاصة بالقصر الذي يعرف بجهاز الموظفين التي تسيرون الشؤون الخاصة لزوجة السلطان، ومن تقلد هذه الوظيفة هي قهرمانة القصر السلطاني، وتتمثل هذه الوظيفة في القيام بكل ما يتعلق بخصوصية القصر، وكانت هذه الظاهرة منتشرة داخل القصر الزياني⁵.

1 أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضود، المكتبة العتيقة، ط2، تونس، 1966، ص29.

2 عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ص 1847.

3 عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ج1، ص22.

4 أبو عبد الله محمد لسان الدين ابن الخطيب: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تح: محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، ط1، 2009، ص72.

5 أسلي ميمون، خثير بوزيان: المرأة بتلمسان على العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)، رسالة ماجستير، تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، إشراف قراوي نادية، جامعة الطاهر مولاي، سعيدة، 2015-2016، ص 29.

كما كان للمرأة دور في الاستشارة السياسية، ومن الأدلة على ذلك زوجة السلطان عثمان بن يغمراسن، التي اتخذت القرار المناسب خلال سماعها بخبر وفاة زوجها أثناء الحصار المريبي، وذلك خوفا من ظهور الصراع حول السلطة الزيرية وبالتالي إضعاف جهة المقاومة، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله: "أخبرني شيخنا العلامة محمد بن إبراهيم الآيلي، وكان في صباح قهرمان دارهم قال: هلك عثمان بن يغمراسن..، وكان قد أعد لشربه لبنا، .. وكنا نرى معشر الصنائع أنه داف فيه السم تفاديا لخزي غلب عدوهم إياهم، قال: وجاء الخادم إلى قعيذة بيته زوجته بنت السلطان أبي إسحاق ابن الأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص صاحب تونس، وخبرها الخبر فجاءت ووقعت عليه واسترجعت وخيمت على الأبواب بسدادها ثم بعثت إلى ابنه محمد بن زيان وموسى أبي حمو فعزتهما عن أبيهما، وأحضرا مشيخة بني عبد الواد وعرضوا لهم بمرض السلطان فقال أحدهم مستفهما عن الشأن مترجما عن القوم: السلطان معنا آنفا، ولم يمتد الزمن لوقوع المرض، فإن يكن هلك فخيرونا، فقال أبو حمو: وإذا هلك فما أنت بصانع؟ فقال: إنما نخشى من مخالفتك، وإلا فسلطاننا أخوك الأكبر أبو زيان، فقام أبو حمو من مكانه وأكب على يد أخيه يقبلها، وأعطاه صفقة يمينه واقتدى به المشيخة.. وبرزوا لقتال عدوهم على العادة فكأن عثمان لم يمت.. وبلغ الخبر إلى يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارهم فتفجع له، وعجب من صرامة قومه من بعده"¹.

ثانيا- الزواج السياسي

1- الدولة الرستمية:

من مظاهر الزواج السياسي في الدولة الرستمية مصاهرة الإمام أبي بكر لابن عرفة حيث تقول بعض المصادر أنه كان وسيما جميلا سمحا جوادا، وأنه وفد على بعض ملوك السودان فأعجبوا به وأطروه، وأنه كان ذا هيبة وفروسية وأنه كانت له أخت أجمل منه فتزوجها الإمام أبو بكر، فالإمارة أصبحت بالاسم لأبي بكر وبالفعل لابن عرفة، وبهذا العمل استولى على مقاليد السلطة².

1 عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ص 1857.

2 علي يسحي معمر: المرجع السابق، ج2، ص60.

لا يخفى أن القبائل القاطنة بمدينة تاهرت كثيرة العدد وعلى هذا المنوال كانت في هوارة تلك القبيلة الطويلة العريضة من الإباضية رؤساء مقدمون، يقال لهم الأوس ويعرفون ببني مسالة، فتقرب رئيسهم لرئيس قبيلة لواتة، بقصد في مصاهرة ابنة كانت له، توصلا إلى تعزيز جانبه بضم تلك القبيلة إليه¹.

ولما أحسن من له بصيرة وعلم بحقيقة ذلك، أشار على الإمام عبد الوهاب بالمبادرة إلى تلافي الأمر، بأن يخطب البنت ويتزوجها أو يسعى في تزويجها ممن يأمن شره إضعافا لشوكة ذلك الرئيس وابعادا له من الالتحام بقبيلة البنت، اتقاء من حصول الاتحاد على الفساد والتعصب واذ ذاك خطب الإمام البنت وتزوجها وانضمت القبيلتين بطريقة المصاهرة².

وكان لليسع ابن علي غراره في قوة الشخصية وفي النباهة فلم يرى اليسع كفوًا له في الزواج إلا أروى بنت عبد الرحمان بن رستم المعروفة بقوة شخصيتها وبأخلاقها السامية فطلب اليسع من الإمام يد كريمته لابنه فرأى عبد الرحمان أن هذا مما يوثق علاقة الصداقة بين الدولتين فرحب به صهرا فزوج ابنته من مدرار، فقد استطاعت أروى بثقافتها وشخصيتها القوية أن تملك قلب زوجها وقلب أسرته وتغرس من الحب للدولة الرستمية في سجل ماسة ما جعل الدولتين على الصداقة المتصلة والحب الدائم إلى أن زالتا³.

2- الدولة الزيانية:

تعتبر ظاهرة الزواج السياسي عاملا أساسيا في ربط العلاقات بين الأسر الحاكمة من زيانيين ومربنيين وحفصيين، وربط مصالح الطرفين حتى لا يحصل اعتداء متبادل، فمن بين هذه الأمثلة نذكر:

حرص يغمراسن على تعزيز علاقاته وإنشاء صلات وثيقة بالسلطان أبي إسحاق الحفصي تفاديا لأي حرب محتملة بينهما، فخطب من أبي إسحاق إبراهيم بن أبي زكرياء بن أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص ابنته لولده أبي سعيد عثمان، وأرسل للإتيان بها من تونس ولده أبا عامر، وكان خروجها من تونس سنة احدى وثمانين وستمائة، فارتحل يغمراسن

1 سليمان باشا الباروني: المرجع السابق، ص 184-185.

2 نفسه: ص 185.

3 محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تالوت الثقافية، 2010، ج 3، ص 390-391.

للقائها حفاية لأبيها وخشية من قبيلتي توجين و مغراوة عليها، فلقبها بمليانة وعاد فأدرکه الأجل برهيو من وادي الشلف يوم الإثنين التاسع والعشرين لذي القعدة، وكنم ولده أبو عامر وفاته إلى أن لقيه أخوه أبو سعيد فحينئذ أعلم الناس بموته¹.

ومن المصاهرات التي كان لها الأثر الطيب هي المصاهرة بين السلطان أبي حمو موسى الثاني ووالي بجاية، حيث وضعت حدا للحملات التي شنها أبي حمو موسى الثاني (760-791هـ/ 1359-1389م) على بجاية سنة 765هـ/ 1364م وحصارها بهدف إخضاعها، وأمام عجز صاحب بجاية المولى أبو عبد الله الحفصي عن المقاومة والدفاع، عمل على تحسين علاقاته مع أبي حمو موسى بإيجاد صيغة للتفاهم، فعرض عليه التنازل عن دلس ومصاهرته في ابنته، مقابل الهدنة والصلح².

ثالثا- المشاركة في الحرب:

1-الدولة الرستمية:

من خلال مجموعة المصادر التي اطلعنا عليها والتي كانت بجورتنا لم تشر إلى أن المرأة الرستمية كان لها الدور في مشاركتها في الحروب، إذ لم تحمل السلاح أو ظهرت في الميدان العسكري على خلاف وجودها في الحياة السياسية كما ذكرنا سالفا إذ يكمن دورها في التأثير على الحاكم أو توجيهه أو تحذيره كما تعتبر المرأة الإباضية امرأة محافظة تهتم بدينها ولباسها وهذا ما يستبعد ظهورها في الميدان الحربي، ولكن هذا لا يمنع فكرت أنها برزت في ميادين أخرى.

2- الدولة الزيانية:

كان للمرأة دورا كبيرا في مقاومة الحصار، وتشجيع المقاتلين على الصمود، فقد أصبح دور المرأة يكتسي صفة خاصة نظرا للتأثير النفسي الذي تحدثه في الرجال، فقد كان لها دور فعال في التحسيس والتشجيع وتحريك الهمم، فكانت تخرج وراء الجند في هودج فوق الجمال، تنشد أرق الألحان، بكلمات معبرة ونبرات حادة نافذة إلى القلوب³.

1 أبي زكرياء يحيى ابن خلدون: المصدر السابق، ص116.

2 بن زغيبية زينب: مؤنث ومكان بحث حول دور المرأة التلمسانية في العهد الزياني، (633-962هـ/ 1235-1554م) رسالة ماستر تاريخ القرون الوسطى، إشراف خلفات فاتح، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017-2018، ص14.

3 عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ج1، ص293.

يقول صاحب فيض العباب " أما دور المرأة في هذا الميدان فيكتسي صبغة خاصة ومهمة نظرا للتأثير النفسي العميق الذي تحدثه المرأة بصوتها وبعباراتها وبإشاراتها وتلميحاتها وسلوكها إلخ، في حركات الجيش وإقدامه في ساحات المعارك ومجابهة الشدائد والأخطار والأهوال، بما تستطيع من تحميس وترغيب وتشجيع وتحريك الهمم وخلق ظروف خاصة أساسها الانفعال والاندفاع والتسابق نحو التضحية بالنفس والنفيس لنيل الشرف والمجد والأخذ بالثأر"¹.

فقد لوحظت هذه الظاهرة في معركة " واد تلاغ "، التي كانت يوم الاثنين الثاني عشر من جمادى الآخرة سنة 666هـ/يناير 1267م²، بالقرب من وادي ملوية³، حيث واجه الجيش المريني بقيادة "يعقوب المريني" الجيش العبد الوادي بقيادة يغمراسن⁴، فبعأ كل واحد منهما جيوشه، وميز كتائبه واصطفت عيالات الفريقين خلف الجيوش في الهودج والمراكب والقباب المزينات باديات الوجوه عليهن الحلل، يخرضن الأبطال على الأبطال⁵، والغاية من ذلك كله هي التقوية المعنوية وإثارة الحماس وبعث الهمم⁶.

و عندما هاجم أبو الحسن المريني مدينة تلمسان، كانت نساء تلمسان، تخضن المعارك إلى جانب الرجال خلف الأسوار⁷، وإذا برجل قال له: " يا مولاي، هنا امرأة في السور تنادي وترغب وتتوسل في أن يصل إليها من تكلمه بما يبلغ عنها"، فانتدب أبو الحسن الناميسي والفقيه أبو عبد الله الرندي لتلقي ما عندها..فأتيا بعد زمان، فسألهما فسكتا، ثم ابتدر الفقيه وقال: "انما جزاء هؤلاء الحرق" وعمم كلامه، فاستفسره فقال له الناميسي: "قالت على قدرها

1 ابن الحاج النميري: فيض العباب وإفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد

محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص114.

2 ابن الأحرر، المرجع السابق، ص19، ينظر أيضا: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج3، ص

26

3 علي ابن أبي زرع الفاسي: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ط1، دار المنصور، الرباط، 1392هـ/1972م، ص115.

4 ابن الحاج النميري: المصدر السابق، ص115.

5 علي ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص115.

6 ابن الحاج النميري: المصدر السابق، ص115.

7 عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ج1، ص293.

شتمت أقيح شتم"... فقال عند ذلك وهو يتسم: "الشتم حيلة المغلوب، ومعاد الله أن تكون غريمتنا امرأة محمولة"¹.

وقبيل نهاية الحصار المريني الطويل، لمدينة تلمسان، اجتمعت نساء البلاط الزياني وجواريه، وعبرن عن موقفهن الشجاع، الداعي إلى مواصلة المقاومة حتى الموت أو النصر، بحيث أرسلن الخادم "دعد" قهرمانة القصر، لتقول للسلطان أبي زيان²: "تقول لكم حظايا قصركم و بنات زيان حرمكم: ما لنا وللبقاء، وقد أحاط بكم عدوكم، فأريحونا وأريحوا فينا أنفسكم وقربونا إلى مهالكنا فالحياة في الذل عذاب والوجود بعدكم عدم" فالتفت أبو حمو إلى أخيه .. وقال: قد صدقتك الخبر فما تنظر فيهم؟ فقال: يا موسى! أرجئي ثلاثا لعل الله يجعل بعد عسر يسرا، ولا تشاوريني بعدها فيهن، بل سرح اليهود والنصارى إلى قتلهن وتعال إلي نخرج مع قومنا إلى عدونا فنستमित، ويقضي الله ما يشاء، وإذ برسول من معسكر بني مرين، وقف بين يدي السلطان وقال له: إن يوسف بن يعقوب هلك الساعة، فاستبشر السلطان واستدعى أخاه وقومه حتى أبلغ الرسول رسالته بمسمع منهم"³، وهذا دليل على صبر المرأة الزيانية وإخلاصها حتى في أخرج الأوقات.

المبحث الثاني: دور المرأة الاقتصادي:

أولا- النشاط الصناعي:

رغم وجود حرف وصناعات تتفق مع الاحتياجات المحلية من ملابس وحرف صناعية إلا أن المصادر لا تشير إلى هذا الجانب بشيء من التفصيل وإن أشارت إلى صناعة من تلك الصناعات والحرف فهي إشارة عرضية ليست مقصودة بذاتها بل تأتي في إطار الحديث في سيرة شخص معين وكما نعلم فإن التاريخ الموجود بين أيدينا هو تاريخ سياسي مرتبط بوجود الحكام ولا يهتم بالتاريخ للأوضاع الاجتماعية والحضارية إلا فيما يخدم التاريخ السياسي، ومهما يكن

1 محمد ابن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تح: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص184.

2 عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ج1، ص293.

3 عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ص 1858.

من أمر فإن الحرف والصناعات في العصر الوسيط لا تتجاوز بوجه عام سد الحاجيات البسيطة للمواطن من غداء وكساء¹.

أ- الصناعة النسيجية:

1-الدولة الرستمية:

إن أهم صناعة بالدولة الرستمية هي صناعة النسيج المعتمدة أساسا على الصوف والكتان والحريز في بعض الأحيان، من هنا يمكن أن نتصور النوعية الجيدة لصناعة النسيج في الدولة الرستمية حيث كانت تنتج أنواعا من الملابس والأفرشة والستائر والقوط التي كانت المرأة تقوم بصناعتها في البيت وتساعدتها في ذلك الجوارى مثلما فعلت أم الخطاب التي كان لها ثلاثة عشر جارية ينسجن لها²، وكانت زيدت بنت عبد الله الملووشية جالسة مع نساء وقد اجتمعن لعمل الصوف وأخذن يغنين فوعظتهن وزجرتهن وذكرتهن أمر المعاد والحساب والقبر والموت بكلام بالبربرية له وزن وحلاوة، وكذلك الهيل التي خرجت لتعمل الصوف عند مجمعهن³. ويشير مخطوط البغطوري إلى العمل الجماعي لنساء جبل نفوسة⁴.

وهي إشارة تدل على وجود نساج أو محلات للنسيج مخصصة للنساء في صنع الصوف وغزلها ونسجها⁵، وقد استفاد بنو رستم من خبرة الفرس في صناعة المنتجات الصوفية والكتانية والحريزية¹.

1 صالح معيوف: جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث الهجري، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2006، ص 47.

2 مجاز إبراهيم: الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، المرجع السابق، ص 207-208.

3 أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي: السير، تح أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، ط2، عمان، 1412هـ/1992م، ج2، ص11.

4 جبل نفوسة: جبال في المغرب بعد افريقية عالية نحو ثلاثة أميال وفيه منبران في مدينتين إحداهما سروس في وسط الجبل والأخرى يقال لها جادو من ناحية نفزاوة وجميع أهل هذه الجبال شرارة وهيبة واباضية متمردون على طاعة السلاطين يقال له إلياس لا يخرجون عن أمره، ولا يعطون طاعة إلا إلى رئيس لهم بتاهرت وهو رئيس الإباضية عبد الوهاب بن عبد الرحمان الفارسي الذي أقام فيها سبع سنين وألف كتاب يعرف بمسائل نفوسة ينظر: أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي: البلدان، (د.ط) دار الكتب العلمية، بيروت، ص 184-185.

5 صالح معيوف: المرجع السابق، ص 74-48.

ساعد توفر المواد الأولية من الصوف والكتان و الحرير إلى ازدهار الصناعة النسيجية، فبرع نساء الجبل في هذه الصناعة متخذين من منازلهم مشاغلا لإتمام صناعة الغزل معتمدين على أنفسهم وعبيدهم، نظرا لما تحتاج إليه هذه الصناعة من أيدي عاملة كثيرة، وقد كانت هذه الصناعة منتشرة في تاهرت، إذ ذكر ابن الصغير أن عبد الرحمان بن رستم كان يجمع ما بقي من الصدقات، ويشتري بها أكسية "صوفا وجبابا صوفا وفراء"²، وقد ارتبط بصناعة النسيج صناعة الصباغة فلم تكن المنسوجات الرستمية بلون واحد، بطبيعة الحال، وإنما كانت مختلفة الأشكال والألوان، فكان اليهود هم من يتولون صناعة الأصباغ ويبدو أن هذه الحرفة قديمة لديهم، فقد وردت الإشارة إلى اختصاص اليهود بصناعة الأصباغ في جبل نفوسة، في الكتب الإباضية عندما ترجمت لأبي ذر أبان بن وسيم، أحد عمال الدولة الرستمية بالجبل، حيث كانت النساء يعدن وضوءهن كلما لمسن أصباغ اليهود، لأنه نجس، فتوجه لهن قائلا "أيما امرأة مست أصباغ اليهود، ليس عليها إلا غسل يديها وكفيها"³.

ومما يؤكد شهرة النسيج الرستمي والنفوسي، وألوانه المختلفة ما ذكره ابن حوقل عن جودته قائلا: "وطيقان الأكسية الفاخرة الزرق والكحل النفوسية والسود والبيض الثمينة"⁴، فلم تكن المرأة عالة على المجتمع وخادمة للرجل في منزله بل كانت تشارك في الإنتاج بالإضافة إلى قيامها بالأعمال اليدوية النسيجية، والغزل، كما كانت تقوم بأعمال فلاحية وفي هذا يذكر الدرجيني "أن امرأة نفوسية وجدت في الحرث مع مهدي النفوسي زوجها وهي تنقل التراب على رأسها للإصلاح الجسور"⁵.

2- الدولة الزيانية:

استقطبت الحرف اهتمام الأسرة الزيانية بدورها، نتيجة الحاجة إلى توفر مختلف المصنوعات التي تستعمل يوميا، فكان للمرأة نصيب في مزاوله الحرف، ومن أهم الحرف التي

1 عبد الحميد حسن حمودة: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، دار الثقافة، القاهرة، ط1، 2006، ص338.

2 ابن الصغير المالكي: المصدر السابق، ص36.

3 مجاز إبراهيم: الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، المرجع السابق، ص209.

4 أبي القاسم بن حوقل النصيبي: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص ص81-82.

5 أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص65.

اشتهرت بها نساء تلمسان صناعة النسيج، والتي شملت المدن والبوادي، حيث كانت القبائل العربية البربرية تعتمد إلى الرحلة الموسمية وأن مساكنها عبارة عن خيم مصنوعة من الوبر والصوف تقوم بنسجها المرأة، بالإضافة إلى نسج الأسرة لما تحتاج إليه من الملابس لأن المادة الأولية متوفرة في أغلب المناطق التابعة للدولة الزيانية.

ومن الحرف التي اشتهرت بها النساء التلمسانيات أيضا صناعة الحنابل، فكانت هناك حنابل الونشريس وزرابي قلعة بني راشد وحنابل المدية والحياك في المدية وتلمسان وكذلك محازم تلمسان، حيث كانت حياك الدولة الزيانية وبرانيسها وزرايينها تباع لتجار الدول الأوروبية والإسلامية¹، بالإضافة إلى الغفار والجوارب التي تلبس في فصل الشتاء، ومنهن من كانت تخطط الثياب من القטיפفة، وحتى من الجلد ثم تطرزها بأسلاك الذهب والفضة²، والطرز بالخيطة المذهب والمفضض، هذا النوع من المنتوجات التي كانت حكرًا على المرأة الغنية الميسورة الحال³، وما تجدر الإشارة إليه أن النساء كانت تقوم بالاجتماع عند إحداهن بدعوة منها للقيام بغزل الكتان أو الصوف إعانة لبعضهن، وهو ما يسمونه بالتويزة⁴.

ب-الصناعة الغذائية

1- الدولة الرستمية:

لم تشر لنا المصادر التي بين أيدينا عن قيام المرأة الرستمية بالصناعات الفخارية أو الغذائية إلا القليل منها، ما ذكرته نبيلة عبد الشكور في مجلة التراث بأن المرأة أسهمت بقسط وافر في تطوير المجتمع اقتصاديا فهي تشارك في صناعة الأواني التقليدية الفخارية والخشبية التي كانت تشارك بها في التجارة والإنتاج المحلي وازدهار الأسواق بالصناعات اليدوية النسائية، وهذه

1 مختار حساني: المرجع السابق، ج2، ص92.

2 تامي محمد الفاتح، خليفاي علي: الواقع الاجتماعي والاقتصادي في تلمسان من خلال كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر "لابي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم العقباني" (ت871هـ/1467م)، رسالة ماستر تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، إشراف شباب عبد الكريم، جامعة الطاهر مولاي، سعيدة، 2015-2016، ص97.

3 عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ج1، ص222.

4 أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني: كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوني، المعهد الثقافي الفرنسي، دمشق، 1967، ص264.

الظاهرة مازالت حاضرة إلى حد الآن في منطقة وادي ميزاب بجنوب الجزائر إذ تقوم المرأة الميزابية بدور هام في مجال الحفاظ على الصناعات التقليدية¹، كما عثر كل من جورج مارسيه ، ودوسس لامار في خرائب تيهرت سنة 1941م على بقايا من فرن رستمي وكذا القلل والصحون وجزءا من جرة كبيرة قليلة الزركشة².

2- الدولة الزيانية:

عرفت الصناعة الغذائية بأنها كانت من اختصاص المرأة الزيانية التي هي من الفئة العامة والتي تساعد زوجها في كسب قوتهم، في حين كانت الفئة الميسورة الحال والغنية توكل هذه المهمة إلى الجوارري، ومن أهم هذه الصناعات الغذائية نذكر: المخلل وتحضير الحلويات من مختلف أنواعها لمساعدة الزوج والحصول على مورد الرزق وتحضير خبز الشعير وصنع اللبن لاستخراج السمن والجبن، وصناعة الكسكس نظرا لتوفر مادة القمح والشعير³.

كما ساهمت المرأة في إنتاج الخضروات والبقول والفواكه ومعرفة أوقات غراستها ومناطق انتشارها، كأشجار التين والكروم والبساتين المختلفة⁴.

ثانيا- النشاط التجاري:

مارست المرأة الزيانية العديد من الأعمال الحرة، على خلاف المرأة الرستمية وذلك وفقا لمتطلبات العيش، من بينها:

1- الدلالة: وهي التي تقبض وتأخذ الأجرة على البيع والقبض نيابة عن البائع، جاء في

نازلة: " أن دلالة باعت لرجل أسبابا بالنسية، ثم إن الرجل قبض لنفسه من الغرماء معظم الثمن وتبقى له منه بقية فطلب من الدلالة بقبضها"⁵.

1 نبيلة عبد الشكور: المرأة في أسطوغرافية الاباضية، المرجع السابق، ص102.

2 فطيمة مطهري: تاريخ وحضارة تيهرت الرستمية خلال القرنين (2-3هـ/8-9م)، دار النشر الجامعي الجديد، (د.ت.ط) تلمسان، ص143.

3 بن زغبية زينب: المرجع السابق، ص48.

4 أسلي ميمون: المرجع السابق، ص43.

5 أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، اخرج جماعه من الفقهاء بإشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، 1401هـ- 1981م ج5، ص238.

2- التاجرة:

كانت المرأة تتردد على الأسواق و تهتم بالتجارة في تلمسان، حيث شكا العقباني والمازوني والونشريسي من كثرة توافد النساء على سوق العطارين إذ هو سوق خاص ببيع العطور ومخالطتهن لتجاره¹، بالإضافة إلى اجتماعهن في بعض الأسواق التي قد يضطرن إليها، كسوق الغزل² الذي يقع جنوب المسجد الكبير بتلمسان، حيث تتوافد عليه النساء وحتى الرجال لشراء الخيوط الصوفية والقطنية، وتردد النساء عليه بالدرجة الأولى يرجع إلى أن المرأة في الدولة الزيانية كانت تقوم في هذا الميدان بدور هام نتيجة للإقبال الكبير على المنسوجات من قبل التجار الأجانب³.

3- الماشطة:

وهي التي تتولى مهمة تحميل العروس مقابل أجر معين⁴، وذكرت من خلال نازلة "من تزوج ماشطة وشرطت عليه في عقد النكاح ألا يمنعها صنعتها" وهي ظاهرة اشتهرت بها النساء وأفتي بوجوب الصنعة عند غير إلزام الزوج بالشرط إذا كانت الصنعة جائزة، فإذا كانت عند غير ذلك فلا⁵.

4- الوشية: يذكر الونشريسي أن هناك من تسمى بالوشية، أي صانعة الوشم التي تقوم بشق الجلد ثم يحشى بالكحل حتى يخضر، وهذا مقابل أجر معين⁶.

5- المرزعة: والتي ترتزق من ارضاعها لأطفال الأغنياء، إذ كانت أجرة الرضاعة على الزوج⁷.

1 مختار حساني: المرجع السابق، ص48.

2 أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني التلمساني: المصدر السابق، ص263.

3 مختار حساني: المرجع السابق، ص48.

4 كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص16.

5 فطيمة نزهة بكوشة: المرجع السابق، ص28.

6 كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص35.

7 نفسه: ص36.

الخلاصة:

أبرزت المصادر التي تعاملنا معها في هذا الفصل عن صور متعددة للمرأة الرستمية والزيانية، صور اختلفت باختلاف العادات والتقاليد لكل دولة، وباختلاف مسارها التاريخي، إذ قامت المرأة بأدوار مهمة على المستوى السياسي والعسكري والاقتصادي.

بتصفحنا للتاريخ السياسي والعسكري لفترة دراستنا توقفنا أسماء نساء برزن في هذا الميدان، فنجد أن المرأة الرستمية ساهمت في التحريض واشعال الحرب، مثال ذلك بنت الامام يوسف، وغزال زوجة أبو اليقظان التي أسهمت في اسناد الحكم إلى ابنها ابي حاتم. كما نجد ساهمت في اتقاء الصراعات بين القبائل وضمنان الولاء عبر المصاهرة، ما يسمى بالزواج السياسي الذي يهدف إلى ربط مصالح الطرفين، مثال ذلك المصاهرة بين الامام أبي بكر في اخت ابن عرفة.

في حين نجد أن المرأة الزيانية هي الأخرى تدخلت في الشؤون الداخلية للحكم، مثال ذلك أم السلطان يغمراسن بن زيان المعروفة بسوط النساء التي تدخلت في الصراع الذي دار بينهم وبين بني حفص وتوسطت لابنها من أجل الحيازة على الحكم وعقد الصلح، كذلك نجد أن زوجة أخ السلطان يغمراسن بن زيان قد سبقته في مجال تولي الحكم، إلا أن المصادر والتاريخ لم ينصفها حقها في ذكرها، كما نجد أنه لها دور كبير في الاستشارة السياسية، مثال ذلك زوجة السلطان عثمان بن يغمراسن التي اتخذت القرار المناسب بإخفاء خبر وفاة زوجها أثناء الحصار المريني خوفا من ظهور الصراع حول السلطة لحين مجيء ابنها من ساحة القتال واجتماعهم بمشيخة بني عبد الواد من أجل التشاور عن من يتقلد الحكم من بعده، ثم مواصلتهم للقتال بكل حزم وصرامة وكأن شيء لم يحدث.

كما نجد أن المرأة الزيانية هي الأخرى ساهمت في توطيد العلاقات بين الأسر الحاكمة لكل من الحفصيين والمرينيين والزيانيين عبر المصاهرة أو ما يعرف بالزواج السياسي، وذلك لكسب الصداقة واتقاء الأخطار الخارجية أو لفرض الهيمنة على الدول الأخرى في حالة الرغبة في التوسع.

أما بالنسبة للمشاركة في الحرب، ومن خلال المصادر التي اطلعنا عليها وبتصفحنا للتاريخ السياسي والعسكري لفترة دراستنا، لم نجد إشارات إلى أن المرأة الرستمية كان لها دور في

مشاركتها في الحروب، إذ لم تحمل السلاح أو تظهر في ميدان الحرب، على خلاف المرأة الزيانية حيث كان لها دور في مقاومة الحصار وتشجيع المقاتلين على الصمود، حيث كانت تخرج وراء الجند فوق الجمال وخلف الأسوار من أجل التشجيع وتحريك الهمم من أجل التضحية بالنفس والنفيس دفاعاً عن الأرض والوطن ونبيل الشرف والمجد.

أما بالنسبة للدور الاقتصادي للمرأة الرستمية والزيانية، فنستنتج أن لكلاهما دور بارز في هذا المجال، ولم يقتصر دورها في عملها في بيتها من تربية الأبناء وخدمة الزوج وأعمال التنظيف والطبخ، بل حتى خارجه حيث شاركت الرجل في البيع والشراء ومساعدته على كسب مورد للرزق وسبل العيش الكريم، كما زاولت النساء البدويات أعمال الزراعة كالغرس والبذر والفلاحة والحصاد بالإضافة إلى الغزل والحياكة.

نجد أن المرأة الرستمية في عصرها ساهمت في صناعة النسيج المعتمدة على الصوف والكتان والحريز، وكانت تصنع بها أنواع الملابس والافرشة والستائر، بفضل تحليها بالصبر والاتقان في هذه الصناعة، كما ساهمت في صناعة الأواني التقليدية الفخارية والخشبية التي كانت تشارك بها في التجارة والإنتاج المحلي، في حين نجد أن المرأة الزيانية عرفت بأنها كانت تساهم في الصناعة الغذائية من تحضير الحلويات وصنع الخبز والمخللات، وصنع اللبن لاستخراج السمن والجبن، بالإضافة إلى صناعة الكسكس، كما مارست العديد من الأعمال الحرة، فنجد الدلالة والتاجرة والماشطة والمرضعة وغيرها، و ذلك كله وفقاً لمتطلبات العيش وتحسين المستوى المعيشي للأسرة.

الفصل الثاني: دور المرأة الاجتماعي في الدولتين

المبحث الأول: مكانة المرأة الاجتماعية

المبحث الثاني: المرأة ودورها في الحياة الاجتماعية

المبحث الثالث: دورها التربوي

المبحث الأول: مكانة المرأة الاجتماعية

أعطى الإسلام للمرأة حقها ومكانتها الحقيقية، وأوضح واجباتها اتجاه زوجها وأسرتها، فجعل لها حق بين الرجال بحسن المعاشرة، لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتَابُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا¹ ﴾ [النساء 19] كما أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام بمن خيرا فقال « استوصوا بالنساء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإذا ذهب تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا».

فالدراسات المتعلقة بالمسألة النسوية والدور المنوط بالمرأة في المجتمع من المواضيع الحساسة التي أثارت جدلا كبيرا بين الباحثين، إلا أنها لم تحظ بالعناية الكافية في العصر الوسيط، إذ لم تتم الإشارة إليها إلا بصورة عابرة أو في ظل دراسة عامة، بالرغم من أن الإسلام أعطى للمرأة كامل حقوقها وحررها من الاستعباد وشتى عادات الجاهلية، التي تستصغرها وتهين كرامتها، إلا أن مكانتها ارتبطت بالتطور السياسي والاجتماعي الذي عرفه المغرب الأوسط.

1- الدولة الرستمية

أدت المرأة الرستمية دورا كبيرا في المجال الاجتماعي، وهذا بفضل اعتراف الرجل الإباضي لمكانتها في المجتمع، وحقها في الحياة كما نصت عليه تعاليم الإسلام. فاهتم بشأنها الأئمة والشيوخ والعزابة²، وسنوا لها بنودا في دستورهم لحماية حقوقها وكرمتها، فكان لها الحق في التملك ولها حق التصرف في مالها وما تملك، ويجرم الوقف إذا كان سيسلبها حقها الشرعي في

1 سورة النساء: الآية 19.

22 العزابة: كل من لازم الطريق وطلب العلم وسير أهل الخير، وحافظ عليها وعمل بها، فان حسن جميع هذه الصفات سمي عزابيا، وإن حافظ على السير والعمل بها فقط سمي به، وإن حصل العلم دون السير والعمل بها والمحافظة عليها لم يسم بهذا الاسم، واعلم أن لهذا الصنف سيما انفرادها بها، وأحوالا عرفوا بها وذلك في تسميتهم، وخطابهم، ومؤاكلتهم، ولباسهم، وأوقات نومهم وعندهم قوانين يعتادونها وحدود لا يتعدوها. أنظر الدرجيني، مصدر سابق، ج1، ص4.

الميراث. فالمرأة الرستمية كان لها الحق في اختيار الزوج ولا تكره على الزواج مما لا ترضاه لنفسها، وذلك لأن المذهب الإباضي الذي يعتنقه أهلها يحتم موافقة المرأة على من يتقدم للزواج منها¹. كما لها الحق في اختيار الزوج الصالح لها، وتعتبر من المهام الكبيرة للوالد تجاه بناته حسن اختيار الزوج الذي يصونها ويوفر لها الحياة الكريمة، ومثال على ذلك الإمام يعقوب بن أفلق زوج ابنته الثانية لرجل ذي مال يدعى العز بن محمد، كما قام الشيخ صالح حمو بن لؤلؤة الذي حبس بناته عن الزواج في بداية أمره، إذ ربما لم ير في أهل ورجلان من هو أصلح لهما².

كما تعطينا زوجة العالم مهدي الويغري النموذج الأمثل لكل فتاة في اختيار الزوج فعندما خطبها المهدي استشارت في أمره شيخا من المشايخ فقال لها: (إن مهديا رجل له رغبة في الآخرة، وزهد في الدنيا واجتهاد في الصلاح، وله أرض محثوث³ لها سدود فانهدمت سدودها وخربت جسورها، وأراد أن يصلحها وأراد أن يتزوجك فلا تصلح جسوره إلا بتراب تنقلينه على رأسك) فزادها ذلك رغبة فيه وفي صلاحه فتركت زخارف الدنيا ومباهجها من أجل أن تتزوج بهذا الرجل الصالح الذي يعينها على أمور دينها ودنياها⁴.

كما عملت المرأة الرستمية في مجالس دينية حيث أبرزت من خلالها مكانتها في المجتمع وهو عبارة عن مجموعة من النسوة يتكون من خلالهم "المجلس الديني للنساء" ويصل عدده إلى اثنتي عشرة امرأة ويتم انتقاء هؤلاء النسوة من مختلف عشائر البلدة من صالحات الأسر بشروط معينة أي أن يكن متعلمات حافظات للقرآن ومن ذوي الأخلاق الكريمة و السمعة الطيبة فضلا عن حضورهن لدروس الوعظ والإرشاد في الحلقة أو في المسجد⁵. وأما مقر المجلس فيكون في إحدى أجنحة المجلس، وهو يبني خصيصا لهن بمكان مجلس التلاوة

1 نبيلة عبد الشكور: المرأة في إسطوغرافية الإباضية، مرجع سابق، ص102.

2 مجاز إبراهيم: الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، مرجع سابق، ص 77-78.

3 محثوث: تعني أرض ذات رمل غليظ يابس. أنظر بدرية بنت حمد الشقصية، السيرة الزكية للمرأة الاباضية، المطبعة العالمية، ط1، عمان، 1421هـ/2000م، ص85.

4 نفسه: ص ص85-86.

5 نبيلة عبد الشكور: المرأة في إسطوغرافية الإباضية، مرجع سابق، ص101.

بالمسجد ويفصله عنه جدار خفيف تعلو تحت سقف الجناح كوة صغيرة جدا، أصبحت الآن مغطاة بقطع صغيرة من الزجاج بشكل مائل لينفذ منه الضوء والصوت من داخل المسجد دون أن يرى أي طرف آخر حيث يسمعون كل ما يدور في المجلس¹.

2- الدولة الزيانية:

لم تكن الحظوظ متساوية بين كل النساء، فقد ظهر التباين واضحا بين فئات المجتمع الزياني، ولكل فئة خصائصها ودورها داخل أسرتها، إذ كان المجتمع الزياني يخضع لتقسيم فقوي فكان للمرأة في كل فئة وضع خاص بها² ومثال على ذلك نجد:

أ- الفئة الخاصة (الغنية):

وقد أعطى لنا ابن حزم الأندلسي صورة عن وضع المرأة داخل مجتمع الخاصة: "وما أعلم علة تمكن هذا الطبع من النساء، غير أنهن متفرغات البال من كل شيء، إلا من الجماع ودواعيه والغزل وأسبابه والتآلف ووجوهه، لا شغل لهن غيره ولا خلقن لسواه..³".

ب- الفئة العامة: انحصرت مكانة المرأة عند الفئة العامة على القيام بشؤون البيت وخدمته من طبخ وغزل وحيآكة، ومساعدة زوجها بالأعمال اليدوية المجهدة، فلم يتوفر عندهم الخدم نظرا لأن أجر الزوج لم يكن يسمح له بشرائها، وهذا جعلها تحتل مكانة رفيعة في بيتها وفي محيطها وبخاصة في علاقتها بزوجها⁴.

طرحت مجموعة من الفتاوى من قبل الفقهاء في المغرب الإسلامي، ومنها الدولة الزيانية، وعلى الخصوص ما كتبه المازوني، وما رجع إليه المجاجي في كتابه من رأي الفقهاء من بينهم

1 نبيلة حساني: مرجع سابق، ص.1255

2 بن زغبية زينب: المرجع السابق، ص.25.

3 علي بن حزم الأندلسي: طوق الحمامة في الألفة والألاف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة، 2016، ص.50.

4 نبيلة عبد الشكور: اسهام المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس إلى نهاية التاسع للهجرة، الثاني عشر-الخامس عشر الميلاديين، ص.166.

القرطبي يلاحظ الحماية التي أقرتها تلك الفتاوى لصالح المرأة من أجل تفادي أي استغلال محتمل من قبل زوجها أو من لدن الورثة عند وفاته مثل الإخوة وأقارب المتوفي¹.

ومن بين الأئمة الذين رجع إليهم المجاجي هو القرطبي، فقال: " من الناس من أوجب على المرأة خدمة بيتها مطلقا، ومن هنا التفصيل على مقتضى العادة، فإن كانت شريفة فلا تخدم، وإن كانت المرأة من قوم عادتهم الخدمة خدمت، وإن جهل الحال ولم تعرف عادة أهل المرأة فالأصل الخدمة إلى أن يتبين عدمها"، نستخلص من هذه النازلة ما يلي:

1- العمل خارج البيت، وهذا لا يتم إلا بتطوع منها ولا يجوز أن يرغمها على ذلك لأنه خروج على الشريعة الإسلامية.

2- العمل داخل البيت، هذا مرتبط بمكانة المرأة فإذا كانت من الطبقة الفقيرة فيجوز لها العمل أو يفرض عليها العكس إن كانت من الطبقة الغنية فإنه يجب على زوجها أن يحضر لها عاملة تقوم بمهام البيت.

وفي بعض الحالات كانت المرأة تقوم بالعمل وتطلب من زوجها أن يدفع لها مقابل عملها وهو ما يؤكد المازوني عندما طرح نازلة وجهت للمشدالي، وقال: "سئل عن الرجل يشتري الصوف أو الشعر، ويأتي بذلك لزوجته ويستعمله كما هو شأن البادية ثم أرادت بعد فعلها ذلك.

أن تحاسب زوجها بعملها، يتوصل المازوني إلى نتيجة مفادها أنه إذا كان هناك اتفاق مع زوجها على ذلك فيجب عليه أن يدفع لها نصيبها، فهي بمثابة شريك له، فهو بالصوف وهي بالعمل².

بالإضافة إلى أنه كان للمرأة دور في توفير الرعاية الاجتماعية ولم يقتصر دورها داخل أسرتها فقط، حيث نجد أنها كانت تقوم بحبس الوقف ولم يقتصر ذلك على الرجل فقط، حيث

1 نبيلة عبد الشكور: مرجع سابق، ص 203.

2 مختار حساني: المرجع السابق، ص 205.

جاء في نازلة " أن امرأة حبست زاوية ثم سافرت من ذلك المكان بنحو تسعة أعوام وبقيت الزاوية بيد الفقراء يجتمعون فيها وينزلون فيها من يرد عليهم من الغرباء"، و ورد في نازلة " أن امرأة عهدت بمقياس من ذهب يكون ثمنه وقفاً مؤيداً لفائدة الأسرى... كما عهدت لثلاث متخلفها لرجل"، و كما نجد أنه كان لها دور في بعض القضايا أو المشاكل الأسرية التي كانت تساعد في حلها، مثل القابلات حيث كان القاضي يلجأ إليهن لمعرفة حمل المرأة من عدمه أثناء النظر في بعض القضايا أو المشاكل الأسرية¹، مما يدل على أن المرأة الزبانية لعبت دوراً هاماً في توفير الرعاية الاجتماعية للفقراء واليتامى والمرضى، وكذلك في تيسير سبل العيش والحياة الكريمة لأفراد الأسرة².

ولم تكن المرأة الزبانية محجوبة داخل المنزل خاصة الطبقة الغنية ميسورة الحال، بل كانت تتجه إلى المتنزهات التي توجد بداخل المدينة أو خارجها، بالإضافة إلى الحدائق والمقابر خاصة أيام المواسم الدينية وزيارة قبور الأولياء الصالحين³، بالإضافة إلى عادة الاغتسال في الحمام، فقد كان الحمام وجهة للنساء الزبانيات في مختلف المناسبات سواء كان الزواج أو الولادة أو قبيل الأعياد⁴، كما كانت تخرج إلى السوق لاستحضار مطالب الأسرة بموافقة من أحد أفراد العائلة الذكور⁵.

المبحث الثاني: المرأة ودورها في الحياة الاجتماعية

أولاً - الدولة الرستمية:

نالت المرأة مكانة محترمة في المجتمع الرستمي سواء في البادية أو المدينة وساهمت إلى جانب الرجل في تحمل أعباء الحياة، والتي قد تقسو عليه في بعض الأحيان. فاعتبرت الدولة الرستمية الأسرة نواة المجتمع وأساسه لذلك عنيت بأمرها وأحاطتها بالرعاية الكلية والمحافظة على

1 كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص36.

2 نفسه: ص26.

3 مختار حساني: المرجع السابق، ص198-199.

4 تامي محمد الفاتح: خليفاي علي: المرجع السابق، ص52.

5 مختار حساني: المرجع السابق، ص199.

كيانها ومبادئها السامية، فقد حددت الدولة الرستمية لكل فرد من أفرادها واجباته وحقوقه تجاه الآخرين في المجتمع الرستمي بكل عدل و مساواة من أجل استقرارها، ومن العناصر الأساسية للمجتمع عامة وللأسرة خاصة المرأة¹.

كانت المرأة في الدولة الرستمية مثال الصلاح والثقافة بحيث كانت تسعى على اسعاد زوجها وتوفير له كل الحب والسعادة والعمل على خدمته والاستجابة لطلباته بكل روح سعيدة، كما كان يعكس ذلك الجو الجميل علي البيت فكانت الديار تفيض بكل حب ونعيم وحضارة، وحبها للزوج والأسرة فتح لهم أبواب الخير والبركات والنجاح في كل الميادين وصلاح المجتمع بفضل تلك الأم الظاهرة الصالحة والمثقفة².

فظهرت في المجتمع الرستمي نساء كن مثالا للنساء الصالحات في طاعة الزوج ومساندته في أمور دينه ودنياه، ومن النماذج على ذلك زورغ الأرجانية المرأة الورعة الساعية لتوفير الراحة الجسدية والنفسية لزوجها ليس فقط في البيت وإنما تعداه إلى خارجه، فعندما أراد زوجها نقل شيء من التراب أخبر زوجته زورغ بالمشقة والتعب الذي سيلاقيه إزاء ذلك ففاجأته حين قالت له: (قد نقلته بالبقرة) فما كان من زوجها إلا أن دعا الله لها بأن يرزقها الجنة، وهل يريد الإنسان بعد هذه الدنيا الفانية إلا رضى الله ودخول الجنة، فما أروعها من موقف وما أفضله من دعاء³.

أما بملولة التي كانت تفتح بيتها للعلماء يعقدون فيها مجالسهم العلمية، ومثال على ذلك أبي ذر أبان وسيم⁴ الذي كانت له حلقة درس في منزلها، ويبدو أن هذا قد دام وتواصل حتى

1 فتيحة قرواز: مرجع سابق، ص 111.

2 محمد على دبور: مرجع سابق، ص 360.

3 بدرية بنت حمد الشقصية: السيرة الزكية للمرأة الإباضية، تق سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، المطابع العالمية، ط1، عمان، 1421هـ/2000م، ص 83.

4 أبو ذر أبان بن وسيم النفوسي: كان مواظب على الدراسة تفتح قلبه وعقله للعلم والفهم وكان من تلامذة أبي الخليل الدركلي حيث فقال له ذات مرة: "ياأبان افتى للناس بالرخص، لكل زمان نذير، وأنت نذير زمانك" لقد كان نافذ البصيرة، حاذ الذكاء، عميق الفهم، قوي الحجة، واسع الإطلاع. أنظر علي يحي معمر، مرجع سابق، مج1، الحلقة الأولى، ص 209.

أعجب بها حيث كانت موصوفة بالصلاح والثقة والدين¹. فخطبها من وليها وعقد عليها فكانت له نعمة الزوجة وكان لها نعم الزوج وقد تشابها خلقا وعلما ودينا²، كانت تساعد زوجها من خلال اعداد الطعام لجميع طلبته وطالباته، حيث كان أبان بن وسيم ذا سعة في المال جنى ذلك من تجارتها، فلم يبخل على طلبته وكان حريصا أن يكفي الطعام الذي تعده زوجته بهلولة³ كما ظهرت نساء شغلن منصب هيئات نسوية تعرف باسم "الغسلات" أو "الغاسلات" ويعرف باسم اللغة المحلية الأمازيغية "تمسيريدين"⁴ بمعنى أنهم يقمن بغسل الأموات من النساء والاطفال دون البلوغ أو سن سبع سنين، ومازالت هذه الهيئة تزاوّل هذا العمل بمنطقة وادي ميزاب إلى يومنا هذا.

أما عن طريق تعيين إحداهن كعضوة جديدة في الهيئة فبعد أن يتم اختيارها تتجه الغسلات إلى دار شيخ العزابة، فيناقش معه الأمر بوساطة محارمه أو تتولى أكبرهن سنا الحديث معه من وراء حجاب أو يتفاوضن معه في القضية، وفي الأخير فإن القرار يعود إلى رئيس مجلس العزابة وأن تقبل الغسلات بذلك الحكم⁵.

ثانيا- في الدولة الزيانية:

الزواج صلة شرعية بين المرأة والرجل، وأساس متين ترتكز عليه أحوال الأسرة باعتباره ركيزة الحياة الاجتماعية وشرعية الإسلام في نظام الزواج، وتعتبر الكفاءة في الزواج شرطا لازما بين الرجل والمرأة⁶، حيث أعلن الإسلام أن الله خلق الرجل والمرأة من روح واحدة ومن أصل مشترك

1 اجاز إبراهيم: الدولة الرسمية دراسة في المجتمع والنظم، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط1، الجزائر، 1440هـ/2019م، ص76-75.

2 بدرية بنت حمد الشقصية: مرجع سابق، ص76.

3 زينب بنت توفيق عمي السعيد: مرجع سابق، ص86.

4 تمسيريدين: (بكسر التاء وسكون الميم وكسر السين والراء ممدودة والذال ممدودة وسكون النون) مفرد "تامسيرت" (بفتح التاء وسكون الميم وكسر السين ممدودة وفتح الراء وسكون التاء) أنظر، نبيلة عبد الشكور، إسهام المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس إلى نهاية التاسع للهجرة، الثاني عشر - الخامس عشر الميلاديين، دكتوراه، تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف صالح بن قرية، جامعة الجزائر، 2007-2008م، ص26.

5 نبيلة حساني: مرجع سابق، ص254.

6 باسمه كيال: المرجع السابق، ص117.

فيقول سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾¹ [النساء: 1] وقوله أيضا: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾² [النحل: 72]

لقد كان زواج المرأة الزبانية يتحدد بانتمائها لفئة اجتماعية معينة

1- زواج الفئة الحاكمة: قامت الفئة الحاكمة بالعديد من المصاهرات نظرا للعلاقات

التي كانت تربط الدولة الزبانية بنظرائها من الدول الأخرى، بغية تحقيق مصالح ثنائية بين الطرفين، وهو ما يعرف بالزواج السياسي.

2- زواج فئة العلماء والمثقفين: دخلت فئة العلماء في علاقات المصاهرة والزواج بأسر

عريقة، تماثلها في العلم والجاه، وزواج العلماء كان معروفا ومنتشرا في المغرب الإسلامي، وربما تعود أسباب ذلك إلى عوامل اجتماعية ومعنوية ومادية للطالب والعالم معا، فالطالب كان يهدف زواجه من ابنة أستاذه التقرب منه حتى يتسنى له الارتقاء في العلم ونيل المراتب العليا في المناصب، في حين يهدف الأستاذ أو العالم من زواج ابنته بأحد تلاميذه عندما يدرك أنه يتحلى بصفات أخلاقية، وأن له مستقبل زاهر وسيرتقي في الدرجات العليا، وكثيرا ما تكون الفتاة راضية بهذا الزواج³.

3- زواج العامة: كانت بعض الأسر الزبانية من فئات اجتماعية ميسورة، تختار لابنتها

من العائلات الصالحة ولو كانت فقيرة، وقد كان التنافس شديدا على المرأة العاملة، النبيهة، الذكية، ذات المنبت الطيب، في حين فضل العوام المرأة الجميلة الشقراء، وكثيرا ما كانت المرأة في هذه الفئة تتقبل عن طيب خاطر كل من يتقدم لخطبتها متمنية الحصول على زوج تضر له

1 سورة النساء: الآية 1.

2 سورة النحل: الآية 72.

3 نبيلة عبد الشكور: إسهام المرأة المغربية، المرجع السابق، ص 193.

الحب، وأحيانا كانت تصطدم بإكراه على الارتباط برجل ثري، ولا يكون لها الحق في اختيار زوجها¹.

أما دور المرأة الزبانية في الزواج لم يكن واضحا إلا من خلال العادات والتقاليد التي كانت تمارسها، كالخطبة والعقد والاحتفال بالزواج.

4-الخطبة: حفاظا على تماسك الأسرة وتنظيما لعلاقة أفرادها و حفاظا على مكانة المرأة، يتحتم على الفتى أو ولي أمره التقدم إلى ولي أمر الفتاة، ليتكلم معه في رغبة موكله بالزواج من ابنته، وقبل الخطبة يمكن أن ترسل امرأة خبيرة بموضوع النساء أو احدى قريبات الفتى إلى بيت الفتاة لتأتي بأوصافها إذا لم يكونوا يعرفونها²، وكان للمرأة الحق في رؤية من يخطبها بموافقة الأهل وحسب الشرع انطلاقا من الحديث النبوي: أنه روى أبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل)، وتجري العادة أن يقدم لها شيئا يرمز إلى الارتباط، وتنتهي مدة الخطبة بعقد الزواج الذي غالبا ما كان يتم عن طريق قاضي الأنكحة³.

5-الصداق: أو المهر، وهو مقدار من المال أو المتاع يقدمه الرجل للمرأة، وقد قال الله تعالى: " وآتوا النساء صدقاتهن نحلة "، وتتوصل من خلال ذلك أن الصداق منحة وعطاء للمرأة رغبة في الاقتران بها⁴.

والمهر في المجتمع الزباني كان مرتبطا بالناحية الطبقية، قال المازوني أن أحد القضاة خطب ابنة رجل من مرابطي وطنه وكان ليلة العقد قد عمل لها الزوج في نقدها ما يليق به من حلي وثياب وغير ذلك، وعمل الأب لابنته في شورها ما يليق بمنصبه و همته و يساره، والصداق كان يحدد بالدنانير، وأيضا كان يشمل الأساور والملابس والأفرشة والمواشي في البادية، و حتى أن

1 فطيمة نزهة بكوشة: المرجع السابق، ص 61.

2 عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص 288.

3 مختار حساني: المرجع السابق، ج3، ص200.

4 مختار حساني: مرجع السابق، ص201.

بعض العائلات الغنية كانت تلجأ إلى تقديم قطعة من الأرض أو بستان كهدية للعروس عند زفافها، وكانت بعض الأسر تشترط خادمة أو وصيفة للعروس، ويشير الونشريسي إلى أنه من عادات البوادي أن الصداق عندهم معروف مقدر لا يزداد لجمال ونحوه ولا بنقص لقبح وغيره¹.

6-العقد: وبعد انتهاء فترة الخطوبة يتم عقد القران في أحد الجوامع أو المساجد على يد القاضي أو صاحب الأنكحة²، وللحفاظ على حرمة المرأة وعرضها لا بد من أن يشهد عقد زواجها ولي أمرها وبحضور شهود على ذلك، وموافقة البنت والولد وتحديد الصداق ثم يدعوا الخاطب إلى قراءة الفاتحة بالمسجد، أما العائلات الغنية فكانت تستدعي القاضي لكتابة العقد بالمنزل بعد موافقة الطرفين وبحضور أفراد العائلتين³.

ومن أشهر من تولى كتابة العقد في الدولة الزيانية هو الفقيه التلمساني ابن مرزوق، وصيغة عقد النكاح بعد البسملة يأتي تحديد الصداق ثم الاسم الكامل للعريسين وتبيين حالة العروس إن كانت ثيباً أو بكراً⁴.

تجدر الإشارة إلى أن هناك من كان يلتزم لزوجته خصوصاً إذا كانت من الطبقة الخاصة الثرية بالألا يتزوج عليها، ولا يتسرى ولا يتخذ أم ولد بغير إذنها أو بدون موافقتها، فإن فعل ذلك فالداخله عليها بنكاح طالق، والسرية وأم الولد حرتان لوجه الله تعالى، كذلك كانت تشترط أحياناً على زوجها في العقد ن أمرها بيدها ولا يحق له أن يمنعها من زيارة أحد أقاربها من ذوي المحارم أو منعها من أن تشهد لأحد منهم فرحاً أو حزناً في الوقت الذي يصلح فيه ذلك.

7-الاحتفال بالزواج: أما الاحتفال بيوم الزفاف فيقام على شكل عرس، أو وليمة في كل من بيتي العريس والعروس تذبح فيه الذبائح، وتقدم أفخر الأطعمة للمدعوين¹، وهناك اختلاف في تحضيرات الزفاف أو العرس بين المدينة والبادية².

1 كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 13.

2 نفسه:ص13.

3 مختار حساني: المرجع السابق، ج3، ص200.

4 أسلي ميمون: خثير بوزيان، المرجع السابق، ص72.

يذكر الونشريسي أن والد الزوجة كان يشترط أحيانا على زوج ابنته أن تكون هدية ابنته قبيل الزفاف عبارة عن ثورين أو كبش وثور، ومن عادات أهل البادية أن هدية العرس يبعث بها الزوج إلى أهل زوجته، فيطعم منها أهل العروسين والأقارب والأصدقاء³.

ويتضح في إحدى النوازل والفتاوى أن حفل العرس كان ينقسم إلى حفلين، أحدهما يتم نهارا للرجال والآخر ليلا للنساء⁴، في النهار يجري سباق الخيل على أنغام المزامير والدفوف وزغاريد النساء، وأثناء الليل تحضر الفرق الموسيقية لتقضي سهرة بهيجة على الأنغام والأغاني الزناتية المعروفة في ذلك الوقت⁵.

8- الخلع: هو إزالة العصمة بعوض من الزوجة، وهو بذل المرأة العوض على طلاقها، فإذا كرهت المرأة زوجها أو خافت ألا توفيه حقه أو خافت أن يبغضها فلا يوفيه حقه، وقد أعطى الإسلام الحق للمرأة في إزالة الزواج أو تطليق نفسها إذا ما رأت أمورا من زوجها كالإساءة إليها أو ضربها⁶، ولا يقتصر الخلع على الرجل فقط فإن لم يرضى الرجل بالخلع كان للمرأة الحق في أن ترفع أمرها إلى القاضي ليحسن عشرتها أو يفرق بينهما، وتعددت أسباب الخلع فنجد إشارات كثيرة حولها منها:

أ- الإضرار بالزوجة: حيث سئل أبو الفضل عن رجل قام بأذية زوجته وضربها، فتمشي إلى دار أوليائها فيردونها بعد أن يتوب عن فعلته، لكنه يكرر فعلته ويضربها ويسبها فرفعت أمرها إلى القاضي الذي كان يحكم بتطليقها لكثرة أذيته لها.

ب- عدم النفقة بغياب الزوج: وفي هذه القضية يحق للمرأة أن تطلق زوجها في حالة هجره لها، فقد سئل أبو الفضل العقباني عن امرأة أكثرت الشكوى بزوجها لدى القاضي بأنه

1 عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص 291.

2 بن زغبية زينب: المرجع السابق، ص 32.

3 نفسه: ص 15.

4 كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص 16.

5 عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ص 291.

6 فطيمة زهبة بكوشة: المرجع السابق، ص 77.

يتركها بلا نفقة، فلما أعيأها أمره وكلت أباها فرفعه إلى القاضي، وهذه من مشكلات عدم تحمل الزوج للنفقة.

3- في حالة العيب: حيث أظهرت النوازل أن للمرأة الحق في رفع حقها إلى القاضي والتطليق من زوجها في حالة إذا ما كان زوجها به عيب أو مرض خطير¹.

المبحث الثالث: دورها التربوي

أولاً- الدولة الرستمية:

كانت المرأة الرستمية الأولى بالتربية حيث اهتمت بتربية أبنائها تربية صحيحة قائمة على دينها، وكانت خير أم أنجبت وأنشأت أجيالاً قوية قادرة على الصعاب وتحمل المسؤوليات²، كما سعت إلى غرس القيم الروحية في أبنائها ومبادئ الحياة والتربية الإيمانية وإيصالهم إلى أعلى المراتب العلمية والعملية، فبدور تربيتها ظهرت من خلال وجود ست شيوخ اشتهروا بأسماء أمهاتهم الأول والثاني الشيخ عروة³.

وأخيه الشيخ أبو بلال مرداس⁴ ابنا أدية⁵، والثالث والرابع الشيخان أبو روح وأخيه مازن مازن ابنا كنانة⁶، والخامس الشيخ أبو خزر يعلى بن زلتاف⁷، و السادس هو الشيخ عمر بن

1 فطيمة نزهة بكوشة: المرجع السابق، ص 79.

1 محمد علي دبور: مرجع سابق، ص 359-360.

3 عروة: أول من نادى (لا حكم إلا لله) في حفين، رفع السيف لضرب- الأشعث- الذي يدعو إلى وقف الحرب في حفين ووقع السيف على عجز بغلته، قاما في العراق على عبيد الله بن زياد أيام- يزيد بن معاوية- اشتهر بالتقوى و الزهد والشجاعة (ت 58هـ/786م) أنظر نبيلة عبد الشكور، إسهام المرأة المغربية، مرجع سابق ص 22.

4 هو مرداس بن حدير بن عامر بن عبيدة بن كعب الربيعي الحنظلي التميمي وهو أخو عروة، (ت 61هـ/680م)، تابعي، عالم، وزاهد، لا يخاف لومة لائم، صاحب الكرمات والاقوال المأثورة، عارض بالحجة والدليل وبشجاعة المتطرفين، ثابت على مبدئه. أنظر نبيلة عبد الشكور، إسهام المرأة المغربية، مرجع سابق، ص 22.

5 وهي أمها وقيل جدتها، ينظر: الدرجيني: طبقات المشايخ، مرجع سابق، ج 1، ص 27.

6 نفسه، ص 37.

7 وهي أمه: وهو ابن أيوب، نفسه، ص 48.

دمو الحمدانية بنت درجو¹ امرأة يمكن، كذلك عرف أحد أحفاد الإمام عبد الرحمان بن رستم باسم أمه، وهو الأمير المدراري الشهير بابن أروى² بنت عبد الرحمان بن رستم.

ومن النساء التي عرفت بحسن قيامها بأمر البيت وبذكائها وثقافتها النسوية غزال زوجة الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلاح، التي كانت تهتم بتربية ابنها يوسف تربية إسلامية بناءة واتصفت بمزايا حبيته إلى أبيه حتى أصبح ولدها معينا لوالده في الشؤون العامة، وأخذ والده يكلفه بمهمات الدولة، كما كانت غزال قدوة صالحة للزوجة المخلصة لزوجها، ونبراسا للأم المريية، لقد عاشت مع إمام العدل والعلم وأنجبت ذلك الإمام الفذ أبا حاتم³.

كما كانت أم أبي ميمون الجيطالي حريصة على التفرغ لتربية ابنها، وبذلت جهدها في تنشئته النشأة الإيمانية الحقة، وكانت حريصة علي حضور مجالس الذكر فكانت تصطحبه معها وهو رضيع إلى مجالس فكان يسكن ويرتاح قلبه ولا يتحرك، أما إذا كان في غيره من المجالس صرخ باكيا، مما جعل أمه تتفرس فيه النبوغ والعلم⁴، فنشأ أبو ميمون محبا للعلم والدراسة، حريصا عليها حتى حقق أمنية أمه، فصار بعدئذ عالم عصره يقصده العامة والخاصة لتلقي العلم على يديه، وبلغ درجة من العلم والحكمة جعلته يكتسب محبة الناس إليه والإعجاب به، وتقديره⁵.

* وكان للأم تأثيرها على أبنائها وتوجيههم واضحا في الأسرة الرستمية، ومثال على ذلك فضل أم مؤسس الدولة عبد الرحمان بن رستم الذي ترعرع في القيروان، فحفظ القرآن وتعلم اللغة العربية ومبادئ الاسلام تحت رعاية أمه وزوجها، كما شجعتة على التوجه إلى المشرق، وبالضبط

1 من مدينة-إيفاطمان- الواقعة بين الحراة والرحيبات من جبل نفوسة من أجل علماء الأباضية، تقي، زاهد، مجاهد وهو أول من علم القرآن بجبل نفوسة، أنظرنبيلة عبد الشكور، إسهامات المرأة المغربية، ص 22.

2 ابن عداري: مصدر سابق، ص 157.

3 بدرية بنت حمد الشقسية، مرجع سابق، ص 105-106.

4 زينب بنت توفيق عمي السعيد: الحياة الإباضية في عهد الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)، شارع مسر القافلة، (د.ت.ط)، غرداية 2019، ص 124.

5 نبدرية بنت حمد الشقسية: مرجع سابق، ص 61-62.

إلى مدينة البصرة حيث مدرسة الإمام أبي عبيد مسلم بن أبي كريمة التميمي لتلقي العلوم والاستفادة أكثر¹.

ثانياً- الدولة الزيانية:

كانت المرأة في المجتمع الزياني تهتم بتربية أبنائها وتكفلهم وتساعدهم على طلب العلم، فنجد في أسرة العلماء أم البنين جدة الفقيه أحمد الشهير بزروق الذي ولد في 28 محرم 846هـ، التي كفلت وربت حفيدها وحتى أنها علمته صنعة الخرز²، بالإضافة إلى القيام بالواجبات المنزلية من خدمة الزوج وتربية الأبناء ورعايتهم خاصة عند غياب الزوج أو وفاته³.

وقد كانت تختلف واجبات المرأة، فالمرأة البدوية تكد و تجد في العمل حتى يكاد أن يكون الزواج في بعض الأحيان نوع من الاجارة والعبودية لا يمكنها التخلص منه، بينما حياة المرأة الحضرية أكثر رفاهية، و مما يؤكد ذلك قول المازوني: "كان شيخنا عبد الله السبتي رحمه الله يحكي عن شيخ من شيوخنا أخته امرأة من صنف الحضرة - وكان قاضي أنكحه - تشكوا وجع يديها من العجن، فأمر زوجها بشراء خادمة تخدمها، وجاءته بدوية تشكوه خدمتها من الطحن وحمل الماء والحطب وغير ذلك من خدم البادية ومشقاتها فأمرها أن تبقى معه وتعاشره على ذلك، وقال إن نساء البوادي دخلن على ذلك"⁴

1 نبيلة عبد الشكور: المرأة في الأسطوغرافية الإباضية، مرجع سابق، ص96.

2 ابن مريم الشريف الملبتي المديوني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، طبعه واعتنى بمراجعته محمد ابن أبي شنب، المطبعة التعاليمية، الجزائر، 1626هـ-1908م، ص45.

3 بن زغبية زينب: المرجع السابق، ص28.

4 مختار حساني، المرجع السابق، ص ص200-201.

الخلاصة:

من الخلاصات التي وقفنا عليها في هذا الفصل هي تقديم صورة المرأة بالدولتين الرستمية والزيانية مما كان مستواها الاجتماعي، بحيث أنها لم تكن تعيش بعيدة عن الحياة العامة بل كانت لها اسهامات وأنشطة في أعمال البر والإحسان ذات النفع العام، فنجد أن المرأة الرستمية ساهمت في صناعة النسيج المعتمدة على الصوف والكتان والحرير، وكانت تصنع بها أنواعا من الملابس والافرشة والستائر، في حين المرأة الزيانية اشتهرت بصناعة الخنابل وأنواع الملابس والبرانس والزرابي والطرز والتي كانت تباع حتى لتجار الدول الأوروبية والإسلامية، و تمتاز كل من المرأة الرستمية أو الزيانية بأنه كانت توجد لديهن مجالس للقيام بغزل الكتان أو الصوف إعانة لبعضهن.

كذلك نجد أن المرأة الرستمية قد ساهمت في صناعة الأواني الفخارية والخشبية التي كانت تشارك بها في التجارة والإنتاج المحلي، في حين نجد أن المرأة الزيانية ساهمت في الصناعة الغذائية من تحضير أنواع الحلويات والحبز وصنع اللبن لاستخراج الأجبان والسمن، بالإضافة إلى اشتهارها بصنع الكسكس من القمح والشعير، كما نجد أن المرأة الزيانية على غرار المرأة الرستمية أنها مارست العديد من الأعمال الحرة، من تاجرة ودلالة وماشطة وغيرها، وهذا كله وفقا لمتطلبات العيش ومن أجل المساهمة في مساعدة الزوج في الحصول مورد للرزق ومن أجل العيش الكريم، كما يدل على مساهمتها في تحسين الإنتاج المحلي ومضاعفة منتوجات بلادها.

تمتعت المرأة الرستمية دينيا واجتماعيا في حقها في اختيار الزوج، وحقها في انهاء الحياة الزوجية، كما أنها لا تكره على الزواج، في حين نجد أن المرأة الزيانية هي الأخرى لها الحق في اختيار الزوج، ولكن في البعض الأحيان كانت تتزوج بإكراه، كما كان زواج المرأة الزيانية كان يتحدد بانتمائها لفئة اجتماعية معينة، كما نجد العديد من الفتاوى والنوازل هدفها حماية المرأة ومصالحها تفاديا لأي استغلال محتمل من قبل مجتمعها، سواء ما يخص الزواج أو ما يخص حقها في العمل وغيرها من المسائل.

كانت المرأة في المجتمع الرستمي والزياني مثالا للمرأة الصالحة في مساندة الزوج في أمور دينه ودينه وتربية أبنائها التربية الصحيحة القائمة على دينها وإيصالهم إلى أعلى المراتب العلمية والعملية.

كذلك نجد أن المرأة في الدولتين الرستمية والزيانية، أن دورها لم يقتصر داخل أسرتها فقط، بل نجد أنه كان لها دور كبير في مجتمعها، فنجد أن المرأة الرستمية شغلت مناصب هيئات نسوية تعرف باسم الغاسلات أو الغسلات، تتكفل بغسل الأموات من النساء والأطفال دون سن البلوغ، كما نجد أنها فتحت بيتها للعلماء لعقد مجالسهم العلمية، كما عملت في مجالس دينية خاصة بالنساء تختص بالذكر و تلاوة القرآن و دروس في الوعظ والإرشاد وحفظ القرآن والادعية، في حين نجد أن المرأة الزيانية قد كان لها دور في توفير الرعاية الاجتماعية عن طريق حبسها للوقف من دور وزوايا، ومساعدتها للفقراء والمساكين، كما نجد لها دور في المساعدة في القضايا والمشاكل الأسرية.

ومن الأنشطة التي كانت تمارسها المرأة الزيانية وتميزت بها، أنها كانت تستطيع الخروج إلى المنتزهات والحدائق والحمام للاغتسال خاصة في المناسبات، بالإضافة إلى بعض العادات والتقاليد كزيارة قبور الأولياء والصالحين، مما يدل أنها لم تكن محجوبة في البيت فقط بل كانت تتمتع بالعديد من الحقوق والميزات.

الفصل الثالث: دور المرأة العلمي في الدولتين الرستمية
والزبانية

المبحث الأول: تعليم المرأة

المبحث الثاني: دور المرأة في مجال التصوف

المبحث الثالث: دور المرأة في مجال العلوم

المبحث الأول: تعليم المرأة

شجع فقهاء الإسلام تعليم المرأة بحكم طلب العلم فريضة على الرجل والمرأة وأفتى فقهاء المغرب الأوسط بضرورة تعليم المرأة منهم الونشريسي الذي ذكر في إحدى نوازله ذلك بقوله " إنما يجب على مثلكم تعليم زوجته ما يلزمها من العقائد وفروع الشريعة " ¹.

أولاً-الدولة الرستمية

كانت الدولة الرستمية تعتني كل الاعتناء بتعليم المرأة وتثقيفها مما يجعلها زوجة صالحة وأم كريمة وأساساً للدولة العظيمة، وكانت لها معرفة بدينها كل المعرفة وتتخلق بأخلاقه العظيمة، وتفهم العربية وتقرأها وتكتب بها²، فأقبلت على العلم والمعرفة، فكانت تشارك في حلقات المساجد والكتاتيب، وقد تزامن ذلك مع بداية انتشار المذهب الخارجي الإباضي في المغرب الأوسط من طرف علماء ومشايخ الإباضية الذين كانوا متشبهين بسيرة الخلفاء الراشدين³.

والظاهر أن المرأة الإباضية أخذت بنصيبتها في التعلم، حيث سُمح لها بحضور مجالس العلم وكثيراً ما وفرت لها الظروف المادية والمعنوية لتعليمها، وهذا ما يؤكد أن حضور المرأة لمجالس العلم كان يرافقه تحدي من جهة، ووعي كامل لأهمية العلم في حياتها، مثل ما فعلت أم "ماطوس" التي أرادت التعلم فاعتبرت المسألة حقاً إذ كانت تحضر عند شيخها أبي محمد الخصيب، ومما يؤكد حرصها على الحضور من أجل الانتفاع من منافع المعرفة متحدية كل الظروف بما في ذلك بعد مسافة مكان الدرس ومخاطر الطريق⁴.

كما اهتمت المرأة بالتعلم وحضور مجالس العلم بالدولة الرستمية إلى درجة أن الأم كانت تصطحب معها رضيعها إلى المجالس العلمية، حتى لا تطيع على نفسها ما قد تستفيد به من معلومات، والأمثلة على ذلك كثيرة فقد كانت أم أبي ميمون الجيطالي تصطحب ابنها إلى مجالس

1 أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي: المرجع السابق، ج11، ص29.

2 محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج3، ص337.

3 نبيلة عبد الشكور: إسهام المرأة المغربية، المرجع السابق، ص21.

4 فاطمة بلهوارى: المرجع السابق، ص ص465-466.

الذكر والعلم وهذا يبين إلى أن هناك مجالس خاصة بالنساء سواء كان يديرها علماء ومشايخ أو عالمات¹.

وكانت المرأة الرستمية لا تستحي في دينها أن تسأل أباهما العالم عن مسائل خاصة يعتبر جهلها منقصة في الدين، وقال أحد المشايخ لابنته "أزوجك لمن له عليك سبعون حقاً، فقالت أردتها إلى ثلاث إن دعا اجبت وإن أمر امتثلت وإن نهي تركت" وهذا يدل على ذكاء حاذ وتفهم دقيق للفقه الإسلامي².

ثانياً- الدولة الزيانية

أما في عهد الدولة الزيانية فقد كان التعليم يتم داخل المؤسسات التعليمية بتلمسان من مساجد، ومدارس، وزوايا، فكانت الفتيات الصغار تترددن على الكتاتيب، حيث يشرف عليهن معلم متعاقد مع أولياء التلاميذ على أجر معين، حيث ويحددون الجرايات إما بالشهر أو بالسنة³، لهذا كانت الفتاة تتردد على الكتاب في سن مبكرة، أي قبل البلوغ مع الأولاد بين الخامسة والسابعة، وفي هذه المرحلة يقتصر تعليمها على تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن، كما كانت تتعلم الهجاء والشكل والخط الحسن و القراءة الحسنة، وكان المعلم يتفقد حفظهم القرآن في أوقات معينة كعشية يوم الأربعاء والخميس، بالإضافة إلى تعليمهم المبادئ الدينية من وضوء وصلاة، وبالتالي يظهر جلياً ما كانت المرأة تسعى في تحصيله لطلب العلم بغض النظر عن ما كانت تقوم به من عمل داخل البيت وتربية الأولاد، وبما أن التعلم لم يكن متاح لكل النساء المجتمع خاصة العامة منها، فإن من لم تتعلم منهن تعمل على تربية أولادها وتشجعهم على طلب العلم ليكون لهم مكانة في المجتمع بتقلدهم لمناصب مهمة فيرفعن من شأن الأسرة⁴، لهذا لم يبرز منهن في الميدان العلمي بمدينة تلمسان في عهد الدولة الزيانية إلا قلة قليلة كن ينتمين إلى

1 زينب بنت توفيق عمي السعيد: المرجع السابق، ص124.

2 ابراهيم بحاز: دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، المرجع السابق، ص449.

3 أسلي ميمون: خثير بوزيان، المرجع السابق، ص85.

4 فطيمة زهة بكوشة: المرجع السابق، ص36.

الفئة الخاصة تقريبا، وهي فئة الحكام والفقهاء وبعض البيوتات المشهورة بالعلم والفقهاء والأدب، التي كانت تحرص على تعليم بناتها كتعليم أبنائها¹.

المبحث الثاني: دور المرأة في مجال التصوف

لم يقتصر التصوف والزهد على الرجال فقط بل برزت في هذا المجال مجموعة من النساء المتصوفات التي كن يجالسن الفقهاء، يقول صاحب المناقب أن مجموعة من النساء في عهد الدولة الزيرية وفدت عند ابن مرزوق، أسكنهم بالقرب من داره وكان يحسن ضيافتهن ويجالسن ويتحدث معهن، وكن من النساء الصالحات².

وذكر الونشريسي في نازلة حق المرأة الصوفية في الأعطيات التي يقدمها الملوك للزوايا وأبناء الصالحين بالتساوي في القمة فلا تحرم المرأة الصالحة بينهما وقد كان الفقهاء ينظرون إلى المرأة الصوفية باحتراز فيما يخص مجالس النساء وخروجها³، وكانت تأخذ شهادتهن من خلال روايتين⁴، ويتكون من خلالها الحكم في بعض القضايا الاجتماعية، وقد نالت المرأة الصوفية حظا وتقديرا وسط الحقل التصوفي، لأنها كانت مصدر ثقة المتصوفة حتى يأخذوا روايات الأخبار عنها⁵.

المبحث الثالث: دور المرأة في مجال العلوم

أولا - الدولة الرستمية:

برزت بعض النساء في العهد الرستمي في العديد من الميادين العلمية، فكانت شاعرة وفقية عالمة بأمور دينها، كما برزت بعض النساء في مجال علم الحساب ومن أمثلة ذلك أخت

1 عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ج2، ص355.

التصوف: ظهر التصوف ببلاد المغرب الإسلامي في المشرق أولا ثم تنقل إلى المغرب عن طريق الحج وطلب العلم، والمؤلفات والتجارة، ويميل البعض إلى أن التصوف في صورته الأولى الزهدية قد يكون موجودا منذ الفتوحات الإسلامية، ينظر: أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني: المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2008، ص156.

1 نفسه: ص156.

3 أسلي ميمون: خثير بوزيان: مرجع سابق، ص87.

4 أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي البرزلي: فتاوى البرزلي جامع مسائل الاحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2002، ج6، ص62.

5 أسلي ميمون: خثير بوزيان، مرجع السابق، ص87.

الإمام أفلح التي برعت في علم الحساب والفلك والتنجيم¹ حيث قال أحدهم، ويذكر أنها جلست ذات ليلة مع أخيها أفلح فقال لها "هلم نحسب ماذا يذبح في السوق بقرة صفراء، في بطنها عجل ذو غرة في جبهته، فقالت له أخته صدقت البقرة الصفراء وفي بطنها عجل، غير أن الذي رأيته، هو طرف ذنبه أبيض تعممه على جبهته، فخلته أبيض الجبهة ذا غرة، وإنما ذلك طرف ذنبه"².

1 - في الشعر:

برزت المرأة في هذه الفترة في مجال الشعر والنثر، حيث تم تسجيل عدة أسماء لشاعرات، كن يقدمن شعرهن باللغة البربرية، ولكن للأسف لم يتم تدوين وقد يكون شعرا أو نثر، وقد سجل لنا التاريخ بعض هذه الأسماء منهن:

أ - منزو بنت أبي عثمان المزاتي:

هي إحدى النساء اللاتي حفظن كتاب السير قولاً، كان لحياة هذه المرأة أثر واضح، زوجها أبوها لرجل من قومه كان يسئ إليها وهي تحسن إليه، ولم يكتف بذلك بل تزوج عليها امرأة أخرى فلاقت المزيد من سوء المعاملة، وذات يوم مرت بها قافلة وسمعوها تنشد شعرا بالبربرية معناه "ألا أحد من يزورني في الله فيذهب غم النفوس ويزيل الوحشة" فلما وصلوا وطن منزو تذكروا كلامها، فأسمعوا ذلك إلى بعض المشايخ الذين قاموا بزيارتها، فوجدوها في حالة يرثى لها خارج خيمتها، فقال لها إحدى المشايخ³ (إني لأختار أن أجد جنازتك خارجاً ولا أراكي على هذا الحال)⁴، ومكنو عندها ثلاثة أيام، وقبل أن ينصرفوا نصحوها بالصبر والتحمل والإحسان ودعوا الله لها بالفرج، فما مضت أيام قليلة إلا ومات زوجها ففرج الله عليها ما مر عليها من تعب وعناء⁵*

1 عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 489.

2 عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 89.

3 بدرية بنت حمد الشقسية: مرجع سابق، ص 380.

4 علي يحي معمر: مرجع سابق، مج 1، الحلقة الأولى، ص 436.

5 بدرية بنت حمد الشقسية: مرجع سابق، ص 81.

ب - زيدت الملوشية:

هي شاعرة بارزة نظمت جل قصائدها باللغة البربرية، منها قصيدة حول الحساب والعقاب والموت والقبر، معاتبة فيها جماعة من النساء انشغلن بالغناء واللهو¹، ومع ذلك لا يوجد أثر لهذا الشعر إلا ما ذكر في أمهات المصادر الإباضية².

ج-سارة اللواتية:

امرأة لواتية مسكنها سوف، امرأة صالحة عابدة كانت تروي أشعارا بالبربرية، قيل: إن منبها ينبها فيأمرها بالمعروف، ويهتف عليها بهذه الأشعار لصالحها، عاصرت الشيخ ادريس بن الطويل، والشيخ سليمان بن عيسى، وأبا زكريا أفلح، كانت تأوى الشيوخ وتزورهم طلبا للعلم وسؤالا في أمور الدين³

2 - في الفقه:

إن الدارس لمصادر السير الإباضية يلاحظ أسماء عديدة لنساء برزن في الفقه منهن:

أ - الغاية زوجة أبي قاسم:

تزوج أبو القاسم من الغاية بعد سنة من بلوغها كانت تحضر دروسه من وراء ستار وتسمع مايقوله لطلابيه حيث كان يحثهم ويحرضهم على الدراسة وسمعت ذات مرة وهو يقول لهم "إن من يقرأ سرا في صلاته ولا يحرك شفثيه فإن صلاته باطلة"، فأعادت صلاة السنة كاملة، لأنها كانت تكيف ولا تحرك شفثيها في قراءة السر، فكانت تسمع من زوجها الدروس وتصحح لنفسها إن كانت على خطأ⁴

أصبحت الغاية بعد وفاة زوجها مقصدا لطلاب العلم والدين والخلق القويم، وكان العلماء والمشايع يزورونها ويستشيرونها ويستفتونها، ويرجعون في كثير من الأحيان إلى رأيها، كما كان كثيرا ما يلجأ إليها عالم من كبار العلماء في معضلة من معضلات علم الفقه أو علم

1 6 فاطمة بلهوارى: مرجع سابق، ص470.

2 72 فظيمة مظهري: مرجع سابق، ص255.

3 8 محمد بن موسى بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الاباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر قسم الغرب الاسلامي، مر محمد صالح ناصر، دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت، 1421هـ/2000م، ج2، ص166.

4 1 علي يحي معمر: مرجع سابق، ص522.

الكلام فيقول لها (ماذا كان رأي أبي القاسم فيها أو ماذا حفظت عن زوجك؟) وهكذا ظلت ملاذا لطلاب العلم والعلماء إلى أن اختارها الله راضية مرضية¹.

ب - أخت عمروس:

كانت أخت عمروس عالمة وفقهية أفتت لنساء وقعن في أسر الأغلبة في واقعة مانوا بما يحفظ لهن شرفهن ودينهن، وكانت هي نفسها إحدى الأسيرات وفي هذا يقول أبو زكريا " وقد كانت بعض نسوة نفوسة حين خرجوا، خرجن معهم، فكانت فيهم أخت عمروس بن فتح فتخوفت عليهن الفتنة من قبل الظلمة والفجرة، فأمرت أن تستحلف كل واحدة منهن عن نفسها من يزوجها لمن أرادها بسوء"².

وكان لأبو غانم الخرساني مدونة مشهورة في الفقه، وهي تحتوي على اثني عشر جزءا، فعندما كان مارا على جبل نفوسة اخذ عمروس نسخة منها وقام بنسخها وأخته تملّي عليه، بحيث كانت المساعد الأول له في نسخها³.

ج - أم سحنون اللالوتية:

تعد أفضل عجوز بالجبل كان يزورها مشايخ تفيض عليهم من ادبها وعلمها ودينها ونصيحتها⁴، فذات يوم سار أبو عبد الله في جماعة من المشايخ لزيارتها فلما كانوا في نصف الطريق سمعوا أن حدثا وقع بجادو فاضطرو للرجوع إلا أبا هارون لم يرجع معهم وأتم ماعزم عليه في زيارة هذه المرأة الصالحة فلما أخبرها برجوع المشايخ قالت: "يا أخي أخشى أن أكون ممن قيل فيهم: إذا زارت الأخيار فاسقا سد الملائكة عليهم الفجوج، وإذا زار الأشرار صالحا قيدتهم الملائكة"⁵ وقد خصها الشماخي بترجمة منفردة ورتبها ضمن الفقهاء الإباضية بإفريقية الذين ذكرهم، مما يبين المكانة التي احتلتها هذه المرأة في الوسط النخبوي.

21 بدرية بنت حمه الشقسية: مرجع سابق، ص104.

32 أبي زكرياء: مصدر سابق، ص104.

13 الشماخي: السير، تح: أحمد بن سعود السبائي، وزارة التراث القومي والثقافة، (د.ت.ط)، عمان، 1407هـ-1987، ج1، ص194.

24 زينب بنت توفيق عمي السعيد: مرجع سابق، ص122.

15 علي يحي معمر: مرجع سابق، مج1، الحلقة الأولى، ص252.

د - أم الربيع الوريورية:

عالمة فاضلة وكان الله قد أنعم عليها بثروة طائلة ومال وفير، وكانت إلى هذا المال وهذا العلم طيبة القلب وتصلح المجتمع بإنشاء مشاريع نافعة، وكثيرا ما كان المشايخ يلجأون إليها للنصيحة فأنارت أمامهم السبيل وأرثم طريق الهدى والخير وكانوا يستطيعون الإقامة عندها والإجتماع لديها للمشاورات والمناقشات العلمية والدراسات الإجتماعية¹، ومثال على ذلك "حسان خيران بن ملال" الذي استقبلته مدة طويلة لعقد مجلسه².

ه - عجوز نفوسية:

ذكرت المصادر الإباضية امرأة مشهورة بالدين والصلاح والعلم³، بلغت درجة ذكاء فائقة ودرجة عالية في الرأي الصائب والسديد، ولعل ما ذل على ذلك هو استشارة أبو عبيدة عبد الحميد الحناوي لعجوز من جبل نفوسة، هذه الأخيرة كانت مشهورة في تحمل مقاليد الحكم التي أوكلها إليها عبد الوهاب في تولية أمور الجبل⁴، وهو عن هذه المسؤولية راغب حاول مرارا الاعتذار إلى للإمام ولم يفلح، ولما رأى تشبث الإمام برأيه أبي إلا توليته، وخاف من المسؤولية خاصة وإن فتنة الخلف بن السمح قد فاقت الأفاق وتمادى في العصيان راح واستشار هذه العجوز التي لا تذكر المصادر اسمها في تحمل التعيين أو الفرار⁵.

و - أم يحيى:

كانت تستقبل النساء في بيتها تعلمهن أمور دينهن⁶، وكان لها مصلى في جلميت بجبل نفوسة لتفقيه الناس وتعليمهم أصول دينهم، وهذه العالمة أسست أول مدرسة خاصة للبنات في المغرب الإسلامي تحتوي على أقسام داخلية تأوي الطالبات اللواتي يقطن في أماكن بعيدة، اما بالنسبة للقريبات فيرجعن إلي أهلهن بعد تلقي العلم ومن خريجات هذه المدرسة العالمة أم

1 2 نفسه: ص445.

2 3 فاطمة بالهوارى: مرجع سابق، ص466.

3 4 الدرجيني، مرجع سابق: ج1، ص71.

4 5 فطيمة مظهري: مرجع سابق، ص255.

5 6 ابراهيم بحاز: دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مرجع سابق، ص449.

16 بشير رمضان التليسي: الإتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي، دار المدار الإسلامي، ط1، لبنان، 2003 ص402.

زعرور¹، وقد اشتهرت أم يحيى بأنها كانت كثيرة الحفظ إذ يروي عنها أنها حفظت كتابا بعد أن قرئ عليها، وقالت لمن حولها بعد ذلك: من أراد أن ينسخ فليكتب².

ي-أم زعرور نانا:

امرأة عالمة ورعة من أهل ايجطال، شديدة في دين الله، تلقت العلم في مدرسة أم يحيى كانت مفتية زوجة عالم وأم عالم: زوجة أبي محمد عبيدة بن زارود التغرميني، وأم أبي عبد الله، عرفت بالذكاء والحكمة ومن وصاياها " من فاتته ثلاثة فقد فاتته خير الدنيا والآخرة: من فاتته الحرث، وحضور مجالس العلم، وجماعة الأخيار³.

رغم كل ما جاء ذكره عن المرأة الرستمية، وإن كنا نقر لها، بالتفقه في الدين، فلا نظن أنها بلغت الذروة في ذلك اللهم إلا قلائل منهن⁴، حيث قال الشماخي عن البيت الرستمي " بيت العلم في فنونه من الأصول والفقه والتفسير وفنون الدين والرد على المخالفين وعلم اللغة والنجوم والإعراب والفصاحة⁵.

ثانيا- في الدولة الزيانية:

لقد برزت مجموعة من النساء المتصوفات في العهد الزياني اللاتي كن يجالسن الفقهاء ويتحاورن معهم، وفي هذا يقول صاحب المناقب أن مجموعة من النساء وفدت عند ابن مرزوق، فأسكنهم بالقرب من داره، وكان يحسن ضيافتهن ويجالسهن ويتحدث معهن، وكن من النساء الصالحات⁶، وذكر الونشريسي في نازلة حق المرأة الصوفية في الأعطيات التي يقدمها الملوك للزوايا وأبناء الصالحين بالتساوي في القمة فلا تحرم المرأة الصالحة بينهما وقد كان الفقهاء ينظرون إلى المرأة الصوفية باحتراز فيما يخص مجالس النساء وخروجها⁷، وكانت تأخذ شهادتهن من خلال روايتين⁸،

21 زينب بنت توفيق عمي السعيد: مرجع سابق، ص 60-65.

32 بشير رمضان تليسي: مرجع سابق، ص 402.

4 محمد بن موسى بابا عمي وآخرون: مرجع سابق، ص 152.

54 بشير رمضان التليسي: مرجع سابق، ص 451.

65 الشماخي: مصدر سابق، ج 1 ص 167.

6 أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني: المصدر السابق، ص 156.

7 أسلي ميمون: خثير بوزيان، المرجع السابق، ص 87.

8 أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي البرزلي: المصدر السابق، ج 6، ص 62.

ويتكون من خلالها الحكم في بعض القضايا الاجتماعية، وقد نالت المرأة الصوفية حظاً وتقديراً وسط الحقل التصوفي، لأنها كانت مصدر ثقة المتصوفة حتى يأخذوا الروايات و الأخبار عنها مثلها مثل المتصوفة الرجال.¹

برزت بعض التلمسانيات الصالحات في ميدان العلوم خاصة الفقهية منه حيث عرفن بالتدين والزهد، وهن ينتمين إلى بيوتات تلمسانية عريقة نذكر منهن:

1- فاطمة بنت الشيخ العالم أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز: من بيت من

بيوتات تلمسان العريقة أهل علم وعدالة وقضاء وثقة وأمانة، وهي حفيدة أبي العباس صاحب الصلاة.

2- أم الفتح: وهي أم خال الخطيب بن مرزوق وكانت من الصالحات، حجت وزارت

ثم توجهت إلى بيت المقدس وتوفيت به، وكانت أم الفتح قد ربت الخطيب بن مرزوق الذي حج رفقتها وعمره لا يتعدى اثني عشرة سنة.²

ج- المرأة الصالحة المتصوفة مؤمنة التلمسانية: كانت على زهد وتقشف وعبادة،

وكانت تجالس الفقهاء مثل قاضي الجماعة بفاس أبو عبد الله المقرئ الذي كان يزورها ويسعى في قضاء حوائجها وكان الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن عبد الوهاب المعلم لكتاب الله هو الذي يكتب لها لوحها ويبادر به.³

3- عائشة بنت الفقيه الصالح القاضي أحمد بن الحسن المديوني: التي كانت فقيهة

صالحة، ألقت مجموعاً في الأدعية اختارتها، تتميز بقوة في تعبير الرؤيا اكتسبتها من كثرة مطالعتها لكتب الفن.⁴

1 أسلي ميمون: خثير بوزيان، المرجع السابق، ص 87.

2 عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ج 1، ص 294-295.

3 أبي العباس أحمد الخطيب (ابن قنفذ القسنطيني): المصدر السابق، ص 80-81.

4 عبد العزيز فيلاي: المرجع السابق، ج 1، ص 295.

الخلاصة:

نستنتج في الأخير أن الدولتين الرستمية والزيانية لم تخل من اسهامات المرأة في الحياة الثقافية فالظاهر أن المرأة الرستمية كانت لها معرفة بدينها كل المعرفة وتتخلق بأخلاقه العظيمة وتفهم العربية وتقرأها وتكتب بها. كما أخذت المرأة الرستمية نصيبها في التعلم، حيث حضرت لمجالس العلم وكانت تشارك في حلقات المساجد والكتاتيب. أما في عهد الدولة الزيانية، فقد كانت الفتاة تتردد على الكتاتيب في سن مبكرة أي قبل البلوغ وكانت تتعلم القراءة والكتابة والهجاء والشكل والخط الحسن وحفظ القرآن، وكان النصيب الأكبر من العلم للمرأة التي تنتمي إلى البيوتات المشهورة بالعلم والفقهاء. برزت بعض النساء في العهد الرستمي في العديد من الميادين العلمية، كانت هنالك الشاعرة والفقيهة، كما برزت في مجال علم الحساب والفلك والتنجيم، أما المرأة في العهد الزياني فنجد بعض النساء الصالحات التي برزن في مجال الفقه والتصوف.

الخاتمة

نستنتج من خلال دراسة دور المرأة التاريخي والحضاري لدولتين الرسمية والزيانية مجموعة من النقاط يمكن حصرها في :

- أن للمرأة الرسمية والزيانية دور كبير وذلك في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، والثقافية، حيث عملت المرأة في كل دولة على فرض نفسها في مجتمعا، وجعلت لنفسها مكانة، فتشابهت في العديد منها واختلفت في أخرى، ومن بينها دورها في المصاهرة، التي كانت تعتبر أداة من الأدوات التي تستخدمها الدول والجماعات والعوائل الحاكمة لحل الكثير من المشاكل وزيادة نفوذها، فمنها من كان لها الدور في توسع البلاد ومنها من كان لها السبب في الوصول للحكم والسلطة، كما تميزت المرأة الزيانية عن الرسمية في تمكنها من الوصول إلى الحكم، وتدخلها في الشؤون الداخلية للدولة والشؤون الإدارية والاستشارة السياسية، إلى جانب مشاركتها في الحرب وهذا لا يعني أنها حملت السلاح، وإنما بتشجيع المحاربين وهم في ميدان الحرب.
- أن المرأة سواء الرسمية أو الزيانية اهتمت بالصناعة النسيجية، حيث تعتبر الصناعة النسيجية الصناعة الرئيسية في العصر الوسيط، وهذا لحاجة الناس إلى اللباس والأفرشة، وقد استفادت كل منهما من النسيج الفارسي وخبرة الفرس في هذا المجال وطوروه، بالإضافة إلى ممارسة حرف أخرى كصناعة الفخار، ولم تكتف بذلك فمارست مهنة التجارة وغيرها، والملاحظ هو إتقان المرأة الرسمية لصناعة النسيجية أكثر وربما يرجع ذلك لكونها الحرفة المناسبة لها أكثر وباعتبار طبيعة المجتمع الذي نشأت فيه يختلف عن المجتمع الزباني.
- ساهمت كل من المرأة الرسمية والزيانية في الميدان الاجتماعي فكانت عماد الأسرة بدأ من المهام المنزلية إلى تربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة صحيحة، والوقوف إلى جانب زوجها في أصعب الظروف.
- تعد المرأة جزءا لا ينفصل بأي حال من الأحوال عن كيان المجتمع الكلي، فهي عنصر رئيسي به، بل تتعدى ذلك لتكون الأهم بين كل مكوناته، فقد كانت المرأة الرسمية تتمتع بمكانة محترمة في مجتمعها سواء في الريف أو المدينة، واعتبرت نواة للمجتمع وأساسه على خلاف المرأة الزيانية التي اختلفت مكانتها، وهذا لانقسام المجتمع إلى فئات يختلف فيها دور المرأة ومكانتها من فئة لأخرى، حيث وجدت من كان لها دور كبير في مجتمعها في العديد من

المجالات كمشاركتها في حبس الأوقاف والأخذ برأيها في القضايا الاجتماعية والأسرية، وقد أعطت لنا كتب الفقه والنوازل خاصة نوازل الونشريسي صورة عامة عن الوضع الاجتماعي للمرأة الزيانية.

- ظهر في المجتمع الرستمي دور اجتماعي مميز للمرأة م يوجد في دولة أخرى من خلال مجلس النسوة الذي يهتم بشؤون المجتمع النسوي ومشاكله.
- اهتم كل من الأئمة والفقهاء الرستمين والزيانيين بتعليم المرأة ، فكان من نتاج ذلك ظهور العاملة الفقيهة والمتصوفة، خاصة المرأة المنتمية للأسرة العلمية والفئة الحاكمة .

الملاحق

الملحق رقم 01: الصناعات النسيجية عند المرأة التلمسانية¹



1- فطيمة نزهة بكوشة: المرأة والتعليم في تلمسان الزيانية، ماستر في تاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث، إشراف حاج ساعد سليم، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2017/2018، ص 67.

الملحق رقم 02: المراحل التي تمر بها المرأة في عملية النسيج. 1



قردشة الصوف قبل غزلها



غزل الخيط



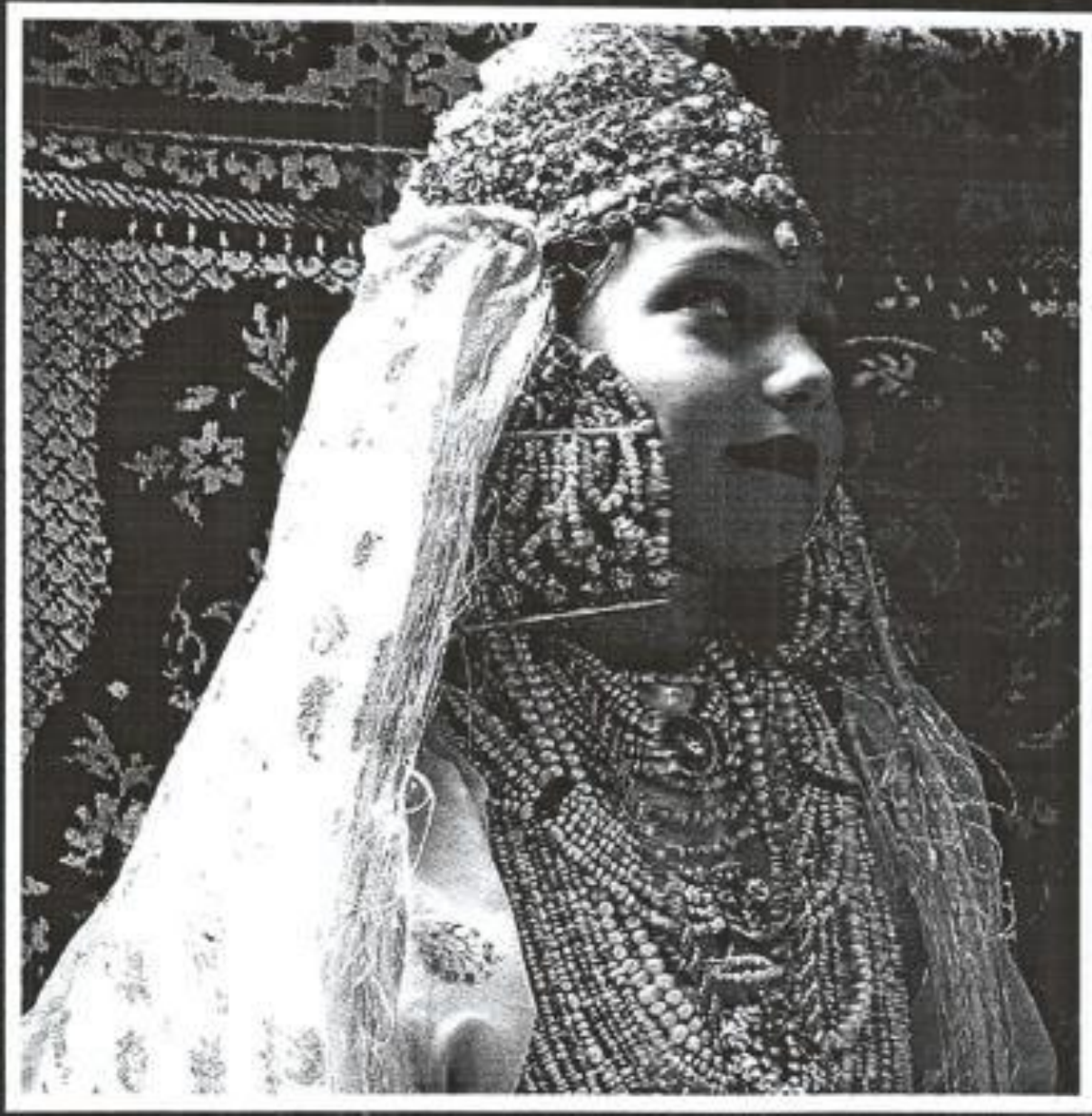
غزل الصوف



غزّالة الصوف

1- فطيمة نزهة بكوشة: مرجع سابق، ص 68.

الملحق رقم 03: زي المرأة التلمسانية1



1- عبد الحميد بوسماحة: تلمسان تاريخ وثقافة، د.ط، منشورات الرياض، تلمسان، 2011، ص173.

الملحق رقم 04: بدلات وحلي عند البنات مطرزة بالذهب والفضة 1



1- فطيمة نزهة بكوشة: مرجع سابق، ص 63.

الملحق رقم 05: شاشية تلمسانية 1



1- فطيمة نزهة بكوشة: مرجع سابق، ص 64.

الملحق رقم 06: عادات الزواج في تلمسان 1



قائمة المصادر و المراجع

- القرآن الكريم

- الحديث النبوي الشريف

أولاً- المصادر:

- 1- ابن أبي زرع: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ط1، دار المنصور، الرباط، 1392هـ/1972م.
- 2- ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، بورسعيد، 1421هـ-2001م.
- 3- ابن الخطيب: اللوحة البدرية في الدولة النصرية، تح: محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، ط1، 2009.
- 4- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر و ابراهيم بحاز، (د.ت.ط)، (د.م.ط).
- 5- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط5، القاهرة، (د.ت.ط) (د.م.ط).
- 6- ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والألاف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، القاهرة، 2016.
- 7- ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992.
- 8- ابن خلدون أبي زكرياء يحيى: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، بدير بونطانا الشرقية، الجزائر، 1903، المجلد الأول.
- 9- ابن خلدون عبد الرحمان: تاريخ ابن خلدون، بيت الأفكار الدولية، الرياض، السعودية، (د.ت.ط).
- 10- ابن خلدون عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، تح: علي عبد الواحد الوافي، دار نهضة مصر للنشر، ط7، مصر، 2014.
- 11- ابن رسته أبي عمر أحمد بن عمر: الأعلاف النفيسة، مطبعة بريا، لندن، 1892، مج7.
- 12- ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج.س كولان و إ.ليني بروفنسال، دار الثقافة بيروت، (د.ت.ط)، ج1.

- 13- ابن قنفذ أبي العباس أحمد الخطيب: أنس الفقير وعز الحقيير، ن: محمد الفاسي، أدولف فور، مطبعة أكداال، الرباط، (د.ت.ط).
- 14- ابن مرزوق أبي عبد الله محمد التلمساني: المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2008.
- 15- ابن مرزوق محمد التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تح: ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- 16- ابن مريم الشريف الملقب المديوني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، طبعه واعتنى بمراجعته محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1626هـ-1908م.
- 17- أبي زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1979.
- 18- البرزلي أبي القاسم بن أحمد البلوي: فتاوى البرزلي جامع مسائل الاحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تح: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2002.
- 19- البكري: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، (د.ت.ط)، القاهرة.
- 20- الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، تر، محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان 1983، ج2.
- 21- الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، (د.م.ط)، 1974.
- 22- الدرجيني: طبقات المشايخ، تح: ابراهيم طلاي، (د.ت.ط)، (د.م.ط)، ج1.
- 23- الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضود، المكتبة العتيقة، ط2، تونس.
- 24- الشماخي: السير، تح: أحمد بن سعود السيابي، وزارة التراث القومي والثقافة، (د.ت.ط)، عمان، 1407هـ-1987م، ج1.
- 25- العقباني أبي عبد الله التلمساني: كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوفي، المعهد الثقافي الفرنسي، دمشق، 1967.
- 26- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مؤسسة دار الهجرة، (د.ت.ط)، ج1.
- 27- مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة، ومصر، وبلاد المغرب، تع: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون للثقافة العامة، العراق، بغداد، (د.ت.ط).

- 28- النميري: فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1990.
- 29- الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، اخرجته جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط، 1401هـ-1981م ج5
- 30- اليعقوبي: البلدان، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت.ط).
- ثانيا- المراجع:
- 1- الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، مج محمد علي الصليبي، دار الحكمة، ط1، لندن، 2005.
- 2- بحاز ابراهيم: الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر، 2010.
- 3- بحاز ابراهيم: الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط1، الجزائر، 1440هـ/ 2019م.
- 4- بدرية بنت حمد الشقصية: السيرة الزكية للمرأة الإباضية، تق سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، المطابع العالمية، ط1، عمان، 142هـ/2000م.
- 5- بوزيان أحمد: تيارات من آل رستم إلى الأمير عبد القادر، دار المدار الثقافية، ط1، البليدة، 2013.
- 6- بوسماحة عبد الحميد: تلمسان تاريخ وثقافة، د.ط، منشورات الرياض، تلمسان، 2011.
- 7- التليسي بشير رمضان: الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي، دار المدار الإسلامي، ط1، لبنان، 2003.
- 8- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت.ط).
- 9- جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ت.ط)، الجزائر

- 10- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد: تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية، ط2، الجزائر، 1965.
- 11- الحريري محمد عيسى: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160هـ-296هـ)، دار القلم، ط3، كويت، 1408 هـ-1987م.
- 12- حساني مختار: تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال الاقتصادية والثقافية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ج2.
- 13- حسن حمودة عبد الحميد: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي مند الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، دار الثقافة، القاهرة، ط2006، 1.
- 14- الحسيني عبد المنعم القاسمي: أعلام التصوف في الجزائر، منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، ط1، الجزائر، 1427هـ.
- 15- دبوو محمد علي: تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاولت الثقافية، (د.ت.ط)، ج3.
- 16- زينب بنت توفيق عمي السعيد: الحياة الإباضية في عهد الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)، شارع مسر القافلة، (د.ت.ط)، غرداية 2019.
- 17- سالم عبد العزيز: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 2011.
- 18- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي (تاريخ دولة الأغالبة والرستمين وبني مذار والأدراسة حتى قيام الفاطميين)، منشأة المعارف، (د.ت.ط)، الإسكندرية، 1993، ج2.
- 19- السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.
- 20- علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري، ط3، عمان، 1429هـ-2008م.
- 21- الفيلاي عبد العزيز: تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية، موفم للنشر، (د.ت.ط)، الجزائر، 2002، ج1.

- 22- كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوي المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996.
- 23- كيال باسمة: تطور المرأة عبر التاريخ، مؤسسة عز الدين، لبنان، 1401هـ/1981م.
- 24- مارمول كرنجال: إفريقيا، تر: محمد حجي، محمد زبير، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد بنجلون، دار نشر المعرفة، الرباط، 1988-1989، ج2.
- 25- محمد زينهم محمد عزب: قيام وتطور الدولة الرستمية بالمغرب، دار العالم العربي، ط1، القاهرة، 2013.
- 26- المدني أحمد توفيق: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1792-1942، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت.ط).
- 27- مظهري فطيمة: تاريخ وحضارة تيهرت الرستمية خلال القرنين (2-3هـ/8-9م)، دار النشر الجامعي الجديد، (د.ت.ط)، تلمسان، 2017.
- 28- معيوف صالح: جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث الهجري، مؤسسة تاوالت الثقافية، دط، 2006.
- 29- مهدي محمد حسين: الاباضية نشأتها وعقائدها، الأهلية للنشر، ط1، عمان، 2011.
- 30- المليي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تص: محمد المليي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت.ط)، ج2.
- ثالثا: الموسوعات والمعاجم:
- 1- مجموعة من العلماء والباحثين: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999/1419، ط2، مج 24.
- 2- محمد بن موسى بابا عمي وآخرون، معجم أعلام الاباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر قسم الغرب الاسلامي، مر محمد صالح ناصر، دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت، 1421هـ/2000م، ج2.

رابعاً: الأطروحات الجامعية:

- 1- بكوشة فطيمة نزهة: المرأة والتعليم بتلمسان الزيانية، رسالة ماستر، تاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث، إشراف حاج سعد سليم، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2017-2018م.
- 2- بكوشة فطيمة نزهة: المرأة والتعليم في تلمسان الزيانية، ماستر في تاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث، إشراف حاج سعد سليم، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، 2018/2017م.
- 3- بن زغيبية زينب: مؤنث ومكان بحث حول دور المرأة التلمسانية في العهد الزياني، (633-962هـ / 1235-1554م) رسالة ماستر تاريخ القرون الوسطى، إشراف خلفات فاتح، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2017-2018م.
- 4- تامي محمد الفاتح، خليفاوي علي: الواقع الاجتماعي والاقتصادي في تلمسان من خلال كتاب تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر "لابي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم العقباني" (ت 871هـ/1467م)، رسالة ماستر تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، إشراف شباب عبد الكريم، جامعة الطاهر مولاي، سعيدة، 2015-2016م.
- 5- عبد الشكور نبيلة: إسهام المرأة المغربية في حضارة المغرب الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن السادس إلى نهاية التاسع للهجرة، الثاني عشر- الخامس عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه، تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف صالح بن قرية، جامعة الجزائر، 2007-2008م.
- 6- قرواز فتيحة: الحياة الحضريّة في الجزائر الرستمية، (260-296هـ/777-909م)، رسالة ماستر، تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، إشراف ميلود ميسوم، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2011-2012م.

خامساً: المجالات:

- 1- بلهوارى فاطمة: المرأة الإباضية وإسهامها في الحركة الثقافية لبلاد المغرب، مجلة الحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، ع16، جامعة وهران، جمادى الثاني 1433هـ/ماي 2012م.
- 2- حساني نبيلة: المرأة في أسطوغرافيا الإباضية، الاتحاد العام للأثريين العرب، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع14، (د.ت.ط)، جامعة الجزائر 2.

- 3- عبد الشكور نبيلة: المرأة في أسطوغرافيا الإباضية، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور، ع2،
الجلفة، فبراير 2014م.

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة:

تعتبر المرأة أهم عنصر في المجتمع لهذا أولاها المجتمع الإسلامي اهتماما كبيرا من خلال تعليمها، وتثقيفها وتوليها مناصب هامة مما جعل لها مكانة محترمة، وقد حث القرآن الكريم على ذلك في نصوص صريحة ووضع لها بنود وقوانين تحميها.

برزت المرأة الرستمية والزبانية في مجالات عدة سواء سياسيا أو اقتصاديا واجتماعيا أو ثقافيا ففي الحياة السياسية من خلال التأثير والتوجيه والزواج السياسي من أجل توطيد مصالح الطرفين بين العائلات الحاكمة، ولم ينحصر دورها الاجتماعي في شؤون المنزل فقط، وإنما كانت لها إسهامات وأنشطة أخرى اجتماعية وعلمية، وقد أبرزت المصادر المتعددة دور المرأة الرستمية والزبانية الذي اختلف باختلاف المسار التاريخي لكل دولة.

Summary :

Women are considered the most important element in society, which is why the Islamic community has given her great attention through her education, educating her and assuming important positions, which has made her a respectable position, and the Holy Qur'an urged that in explicit texts and set forth provisions and laws that protect her.

The Rustamiyya and Zayani women have emerged in several fields, whether politically, economically, socially or culturally, in political life through influence, direction, and political marriage in order to consolidate the interests of both parties between the ruling families, and their social role was not limited to household affairs only, but rather they had contributions and other social and scientific activities. The multiple sources highlighted the role of the Rustumiya and Zayani women, which differed according to the historical course of each country

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
	البسمة
	الآية
	الاهداء الأول
	الإهداء الثاني
	الشكر والعرفان
	قائمة المختصرات
1	مقدمة
الفصل التمهيدي: نشأة وتأسيس الدولتين الرستمية والزبانية	
10	المبحث الأول: نشأة وتأسيس الدولة الرستمية
10	أولاً: نشأتها حدودها
12	ثانياً: أئمتها
14	ثالثاً: سقوطها
15	المبحث الثاني: نشأة وتأسيس الدولة الزبانية
15	أولاً: نشأتها حدودها
17	ثانياً: أهم حكامها
20	ثالثاً: سقوطها
الفصل الأول: دور المرأة السياسي والإقتصادي في الدولتين	
23	المبحث الأول: دور المرأة السياسي
23	أولاً: المرأة والحياة السياسية
26	ثانياً: الزواج السياسي
28	ثالثاً: المشاركة في الحرب
30	المبحث الثاني: دور المرأة الاقتصادي
30	أولاً: النشاط الصناعي

35	ثانيا: النشاط التجاري
الفصل الثاني: دور المرأة الاجتماعي في الدولتين	
39	المبحث الأول: مكانة المرأة الاجتماعية
43	المبحث الثاني: المرأة ودورها في الحياة الاجتماعية
50	المبحث الثالث: دورها التربوي
الفصل الثالث: دور المرأة العلمي في الدولتين	
56	المبحث الأول: تعليم المرأة
58	المبحث الثاني: دور المرأة في مجال التصوف
58	المبحث الثالث: دور المرأة في مجال العلوم
66	الخاتمة
69	الملاحق
76	قائمة المصادر والمراجع
84	ملخص الدراسة
86	فهرس المحتويات